

النشرة الأسبوعيةفيفري 2008**النص البشري في سوائه وإضطرابه**

... قراءة من منظور تطوري

بروفيسور يحيى الرخاوي

أسبوعيات فيفري 2008**المجلد 2، الجزء 6 - أسبوع 3، فيفري 2008**

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية



النص البشري في سوائه وإضرابه

... قراءة من منظور تطوري

بروفيسور يحيى الرخاوي

أسبوعيات فيفري 2008

الفهرس

- الجمعة 2008-02-01:
1160 154- (كنظام) بريد الجمعة
- السبت 2008-02-02:
1171 155- سيد الأحاسيس، وذباب الكلمات في
معرض الكتاب
- الأحد 2008-02-03:
1173 156- مداخلات مضيئة، تتجاوز الحوار
(مع د. جمال التركي)
- الإثنين 2008-02-04:
1187 157- النكوص في خدمة الذات
- الثلاثاء 2008-02-05:
1195 158- عن العاج النفسي وطبيعة الإشراف عليه
- الإربعاء 2008-02-06:
1205 159- الإشراف على العلاج النفسي
- الخميس 2008-02-07:
1214 160- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقاها
- الجمعة 2008-02-08:
1218 161- حوار بريد الجمعة
- السبت 2008-02-09:
1234 162- الشعور بالذنب في السياسة والحرب
- الأحد 2008-02-10:
1236 163- عن الموت والجنون والإبداع
- الإثنين 2008-02-11:
1244 164-...هل للذات حدود؟ متى وكيف نفقدها؟
- الثلاثاء 2008-02-12:
1253 165- مسلسل الإشراف على العلاج النفسي(2)
- الإربعاء 2008-02-13:
1269 166- التراث الشعبي حضورٌ في الوعي؟ أم
ديكورٌ للخكي؟
- الخميس 2008-02-14:
1273 167-نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقاها

- الجمعة 2008-02-15 :
 1277 168- حوار بريد الجمعة
 السبت 2008-02-16 :
 1292 169- مستويات الحضارة المحكات الساذجة، والفعل
 اليومي البسيط
 الأحد 2008-02-17 :
 1296 170-"لعبة النل" بين المرضى والأسوياء (1) المرضى
 الإثنين 2008-02-18 :
 1306 171- علمٌ هذا؟ أم ماذا؟
 الثلاثاء 2008-02-19 :
 1319 172- لعبة النل (2) "الأسوياء": الجزء الأول
 الأربعاء 2008-02-20 :
 1330 173-"لعبة النل (3) "مع الأسوياء: الجزء الثاني
 الخميس 2008-02-21 :
 1338 174- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقاها
 الجمعة 2008-02-22 :
 175-
 السبت 2008-02-23 :
 176-
 الأحد 2008-02-24 :
 177-
 الإثنين 2008-02-25 :
 178-
 الثلاثاء 2008-02-26 :
 179-
 الأربعاء 2008-02-27 :
 180-
 الخميس 2008-02-28 :
 181-
 الجمعة 2008-02-29 :
 182-

الجمعة 15-02-2008

168- واربريد الجمعة

مقدمة :

البريد اليوم متنوع متقطع، أغلبه تلقائي، وبعضه جزء من محاولة "التدريب عن بعد"، وقد أشرت إليه سابقاً في **يومية 1-2-2008 (نظام بريد الجمعة)**، لذلك سوف نرد الفقرات مستقلة عن بعضها البعض بشكل أو بآخر.

ملحوظة :

..... حتى التعقيبات التي لم تذكُر اليومية المعنية، وضعنا لها رابط بحيث يمكن الرجوع إليها.

د. جمال ترك: **6-2-2008 (الإشراف على العلاج النفسي): تنشيط حركة النمو أثناء العلاج إلى أين؟**

المقتطف

يحتاج هذا الإشراف في هذه المهنة، وربما في أي مهنة أخرى، إلى أربع سنوات كحد أدنى، ثم يستقل المعالج بنفسه ليصبح الإشراف انتقائياً، وبأساليب متنوعة

د. جمال ترك:

أتفق معك ما لأهمية هذه المراحل الأربعة في تكوين المعالج النفسي، خاصة "المرحلة الأولى" ولعلني أضيف ضرورة إجراء "اختبار نفسي" و"مقابلة نفسية" مع المرشح لهذه المهنة/المنعة (الطب النفسي والعلاج النفسي) نظراً لخصوصية هذا التخصص، إنه في حاجة إلى شخصية متماسكة تتوفر فيها مجموعة من المواصفات، أهمها التوازن النفسي والشخصية المتوافقة مع الذات إضافة إلى صحة نفسية سليمة، وذلك حتى تجنب الاختصاص من لا تتوفر فيه المؤهلات الدنيا لممارسته، حماية للمهنة وللمترشح ذاته.

تخضرتي في هذا الصدد أمثلة لمآس عديدة كان في الإمكان تجنبها لو قمنا بدراسة نفسية المترشح وسماته الشخصية، قبل السماح له بولوج هذا التخصص. أذكر في هذا الموقف "الانتحار الفظيع" لزميل لي في الدراسة الجامعية (سنة أولى تخصص) عندما

أدرك حقيقة إصابته بـ"الاضطراب الثنائي القطبي"، في إحدى انتكاسات الاكتئاب الجسيم كانت نهايته المفجعة أن ألقى بنفسه أمام عجلات القطار وأخر انتحار في (سنة ثانية تخصص) بعد إدراكه حقيقة اضطرابه النفسي، وحتى نحى أيضا هذا الاختصاص من الشخصيات المضطربة الذين يكونون عادة محط تهكم المحيطين بهم والذين يعززون اضطراباتهم إلى أن ممارسة هذا الاختصاص "تؤدي إلى الجنون" حسب زعمهم... ويحضر أيضا هنا قول أحد المرضى، و كان قد عوج من قبل عند زميل عرف عنه بعض الإضطرابات السلوكية والوجدانية "لا أدري من منا المريض هل أنا أم الطبيب".

أؤكد إننا في حاجة إلى تحديد محكات ومواصفات واختبارات نفسية خاصة بالمرشحين لهذا التخصص حتى نتجنب بعض المآسي ونحمي الاختصاص ممن لا يقدر على ممارسته حيث يسئون إليه عن غير قصد.

د. يحيى:

دعني يا جمال أشكرك أولاً، فهذا النوع من المداخلات هو الذي يثيرني، لأنك تقتطف جملة بذاتها، أو فقرة بذاتها، وتقول رأيك فيشجعني على الرد تحديداً، ثم إنك توافقني، ولا توافقني، فأطمئن، وأراجع، فيضاف إلى وأستفيد، بما يتيح لي فرصة إكمال عرض وجهة نظري، أو تعديلها.

بالنسبة لموافقتك على هذه المدة فأنا أشكرك، لكن يا أخی بالله عليك دعنا نتذكر أن مدة التدريب والإشراف هي ممتدة طول العمر، أنا أستفيد من إشرافي على أبنائي وبناتي بقدر ما يستفيدون، وعندما بدأت أنشر بعض عينات الإشراف، أدركت مدى ما يصلني منهم، ولسوف أشرح بالتفصيل لاحقاً معنى الإشراف الذاتي، وأيضا كيف يكون المريض مشرفاً على الطبيب (كما فعل كثير من مرضاي معي)، وسوف تصدقني كيف أن أبنائي وبناتي يشرفون على أثناء إشرافي عليهم، بشكل أو بآخر.

نرجع مرجوعنا إلى الجزء الثاني من رأيك وهو ضرورة إجراء "اختبار نفسي" و"مقابلة نفسية" مع المرشح لهذه المهنة/الصنعة (الطب النفسي والعلاج النفسي) نظراً خصوصية هذا التخصص، فمن حيث المبدأ يبدو ذلك اقتراحاً معقولاً، أما من حيث الواقع وإمكانية التطبيق فخذ عندك:

1- فمن ناحية، أنت تعرف أن أغلب الاختبارات النفسية لا تقيس إلا نتائجها، وبالذات هي غير صالحة لا للتشخيص ولا للتكهن بالمآل.

2- ثم أننا مجتمع ليس فيه معايير موضوعية، وبالتالي لا يمكن الاطمئنان إلى "المقابلة الشخصية" وعندى أمثلة فظيعة حتى في مجال تعيين وكلاء النيابة فالقضاة، فقد أتاحت لي الفرصة أن أشارك في برنامج تدريبي لمساعدى النيابة، ووكلائها لمدة سنوات، وإذا بي أفاجأ أثناء التقييم بأن أغلبهم بتقدير مقبول دفعة نوفمبر (أى بعد التخلف) (وكنا نعرف أن تقدير جيد جداً هو أقل تقدير يميز الترشيح) فسألت زملائي المستشارين فأخبروني بأن ذلك

لأنهم أبناء مستشاريين تم اختيارهم بعد المقابلة الشخصية،

كذلك رحلت أحذر المرة تلو المرة من اقتراح الاعتماد على الاختبارات النفسية والمقابلة الشخصية لدخول الجامعة بعد الثانوية العامة حتى لا نفاجأ بأن أبناء أساتذة الطب قد حلت عليهم مواهب التطبيب من سن السادسة، أما أبناء أساتذة الهندسة فمن صغرهم يحبون لعبة الميكانو اسم الله عليهم ... إلخ، صدقني يا جمال هذا هو ما سيحدث في أي مجال أو في مجالات أخرى كثيرة.

الخلاصة: أني أرى أن المهم ليس هو كيف بدأ المتدرب، ولكن المهم هو إيجاد آلية لتقييم هل يتقدم أو يتأخر من خلال التدريب، وأنت تعلم أن التنبؤ بنمو من يتصدى للعمل بهذه المهنة الصعبة أو تطوره من خلالها أو تجمده بسببها لا يمكن البت فيه بشكل مسبق يدعوللطمأنينة

ثم إن الذي يعاني أو عنده استعداد لمرض نفسي خاصة في المرحلة التي أسماها أزمة مفترق الطرق Cross roads crisis قد يكون أقدر على النمو وفهم المريض من حيث المبدأ، فإذا أتاحت له الفرصة أن يستوعبه مجتمع صحيح وبتدريب مسئول، وإشراف مستمر فإنه يكون معالجا أفضل من زميله الذي بدأ سليما **مرسوما جدا** حتى يمكن وصفه بالتشخيص الجديد "فرط العادية" Hypernormality وهو نمط يصلح لأي عمل إلا الطب النفسي. هذا المرسوم جدا والعادي جدا، المتزن تماما: "تنبؤ الحوادث عنه وهو ملموم" فكيف يتقمص الحركة العشوائية والتفسخ ليلمه ويلم نفسه معه؟.

البديل: الذي أتصوره احتراما لرأيك، هو التأكيد على جدية التدريب، وموضوعية المتابعة وتكرار التقييم، وبالتالي أرى إتاحة الفرصة لمن يشاء أن يتصدى للمسئولية على أن تتحمل المؤسسة والمسئولون بها مسئولية الفرز الطبيعي، فكما تعلم **المهنة تنتقى شاغلها بقدر ما هو يختارها** (في الظروف السليمة)

أما المصائب والكوارث الشخصية التي ذكرتها في مداخلتك، فهي حقائق مؤلمة، لكنها أيضا واردة في كل مهنة، والمجتمع المهني السليم قادر على رصدها ويمكن أن يمنع تفاقمها بالوقاية المناسبة في الوقت المناسب.

المصيبة يا جمال ليس فيمن يفشل وينسحب أو ينتحر، ولكن فيمن يستمر وينجح فيبدو تماسكا جدا وهو يخفي إمرضية كاملة بداخله، ويروج يستعمل مرضاه مشقظا لمرضه Folie imposé أي يمرضون نيابة عنه،

وكلما غلث وظيفته وزاد نجاحه زاد خطره

د. أسامة عرفة: 2-10-2008 الموت والخون والإبداع

الجمود كف للحركة
التناثر حركة في اتجاه واحد
الحصلة في كلامها صفر

د. يحيى:

لم أفهم يا أسامة كيف يكون التناثر حركة في اتجاه واحد، الأرجح عندي أنه حركة عشوائية مفتتة متفتته في كل اتجاه، وفي أي اتجاه.

د. أسامة عرفة: 2008-2-10 الموت والجنون والإبداع

الجمود فرط الحركة الضامة

د. يحيى:

رأيت أن الحركة الضامة لا تكون جموداً إلا إذا بلغ فرطها اندفاعاً أن تتداخل أجزاءها في بعضها البعض فتعاق فتتجمد، أما الحركة الضامة حول فكرة غائية محورية تمتد وهي تتجمع حولها الأجزاء لتوليف محتمل، فمهما بلغ فرطها فهي كدح إلى الواحدية لعزف سيمفونية الكون الممتدة إلى وجه الحق تعالى.

د. أسامة عرفة: 2008-2-10 الموت والجنون والإبداع

الفصام فرط الحركة التناثرية

د. يحيى:

الفصام يا أسامة ليس بالضرورة فرط الحركة، حتى لو كانت تناثرية، فالفصام السلبي -مثلاً- هو محمود الحركة كما تعلم، أحياناً ما أراه رماداً بعد الحريق

د. أسامة عرفة: 2008-2-10 الموت والجنون والإبداع

الموت حركة أكثر وعياً، هي حركة بنائية حركة في اتجاه واحد، لكنها غير الفصام، إذ أنها حركة لمستوى وجود آخر وليست تبعثراً في نفس المستوى، لا يجوز تشبيه الجمود والفصام بالموت فالوت حياة وليس عدماً؟

د. يحيى:

بصراحة عندك حق

جاءت كلمتك هذه في الوقت المناسب تدعم محاولات الأخرى لتصنيف الموت، أو قل لتصنيف استعمال كلمة "موت".

لقد تراجعت مؤخراً بعد أن رحلت أعمال الموت مرة باعتبارها وعياً بين الوعيين، ومرة باعتباره نقلة بين الوعى الخاص والوعى العام، ثم إنى عدت أميز بين الموت السكون، والموت الفقد، والموت العدم، والموت الوعى (وهو أقرب إلى ما ذكرت أنت الآن من حيث أنه ليس عدماً)، وعندي في هذا كلام كثير أوّجل تفصيله الآن، لكنني سوف أرجع إليه التزاماً، ثم إنك تعرف سنى يا أسامة، فأجد نفسى وأنا أقرب من هذه الخيرة بشكل حثيث أتساءل: ماذا بعد كل هذا؟ ماذا إذا ما دخلت خيرة الموت ووجدته غير كل ذلك، بصراحة، حتى الآن، لا أجدي أفزع من احتمال اكتشافى خطئى في كل ما ذهبت إليه، تصور يا أسامة؟! ربنا يستر.

د. أسامة عرفة: 2008-2-10 الموت والجنون والإبداع

في حين أن الجمود والفصام توقفٌ، إلا أن الموت هو حركة في اتجاه، وإن ظهرت لنا توقف بحساباتنا شبه المحدودة للزمن والإبداع أو قل للحياة

د . يحيى
مرة أخرى الفصام ليس جموداً بالضرورة، هو **تعتة فتفكك، فمَلخ، فتباعه، فتفسخ فتشظى، فتناثر**، كل ذلك في اتجاه سلبى، فهو ليس فرط ولا تناثر فقط، وهو ليس توقفاً بالضرورة إلا في نهاية المطاف، لا تنسى التفرقة بين مرحلة اشتعال الحريق، ومرحلة الرماد بعد الحريق، حتى هذا الرماد لا يصح أن نستسلم لظاهره فقد يكون تحته جمر قابل لإطلاق الطاقة من جديد

أنا معك ألا نقرن الموت بالفصام اللهم إلا إذا كنا نعى الموت الجمود أو العدم

د . أسامة عرفة: 10-2-2008 الموت والجنون والإبداع
وكما علمتنا سيدي: الحياة هي فن الحركة بين الضام والمتناثر أو قطبي الضم والتناثر

د . يحيى:
.. لقد أصبح الإشكال لدى الآن يا أسامة هو أن أدرب نفسي أنا ومن يثق في تجربتي، على تحمل مثل ذلك جنبا إلى جنب مع احتواء التناقض ألباً وإبداعاً متحركاً طول الوقت، وأنت تعرف مدى صعوبة كل ذلك.

د . أسامة عرفة: 10-2-2008 الموت والجنون والإبداع
وما نبض القلب (نبض الحياة) إلا حركة بين هذين القطبين دونما الوصول لأحدهما

د . يحيى:
أوافق على أن هذا هو نبض الحياة، وليس نبض القلب تحصيماً، فما نبض القلب إلا النموذج الظاهر المحدد تشريحيًا وفسيولوجيًا للإيقاع الحيوى الذى لا يقتصر مفهومه على نبضات القلب التى هى النموذج الرائع للإيقاع الذى يشمل كل شئ (وكل حركية جدلية نشطة).

د . أسامة عرفة: 12-2-2008 صعوبة الخياد وضرورته
كثيراً ما يصلنا تعليق من مرضانا أن ما يصلهم منا ليس **ما نقوله بل ما هو نحن** و يردف بعضهم أن ما وصله مما هو أنا كان العامل الفارق في عملية التغيير، لا بد أن نعى حدود حيادنا حتى لا يصبح هو أيضاً دفاعاً معوقاً، خصوصاً أن المريض غالباً ما يكون كاشف اللعبة و يسببك غرقان في الخياد و ياخذ منك اللى هو عاوزه برضه .

د . يحيى:
الله ينور بصيرتك أكثر، لكن على الله زملاؤنا يصدقون، وأرجو أن يكون جمال معنا هنا .

د . أسامة عرفة: 12-2-2008 صعوبة الخياد وضرورته

أقول لمن يتدرب لدى: حين تحترم عريك أمام مريضك وتقبل كشفه لك، سوف تسهل السكة عليك وعليه

مرضانا بيقرأونا زى ما احنا بنقرأهم وأحياناً أوضح من قراءتنا لهم

من أين يأتى الحياء ونحن عرايا أمام مرضانا/ أساتذتنا

... في تدريب زملائى الأصغر لما ألقى معالج مكثف وصلب شوية أزنقه مع مريض وأقوله تعرف تبقى أمه؟ يتخض ويقوللى إزاي؟ أقول له ترضعه ثم نكمل حسب التساهيل مع زميلنا المتدرب

د . يحيى:

أشكرك يا أسامة، وأصدقك وأفرح أنك تدرب الأصغر، فقط أقول لك من خبرتى حاسب: "واحدة واحدة عليهم" أو كما كان أبى يقول لى "رفقا بالقوارير".

د . كريم شوقي: 9-2-2008 الشعور بالذنب في السياسة والحرب

.... انا ماقرتش كتاب الأمير ليكافيلى بس واثق انى لو قريرته حلاقى انه قال انه من شروط الحاكم الذكى هو عدم الشعور بالذنب...مش برضه الغاية تبرر الوسيلة...و لو ان السيناريست وحيد حامد كان له رأى تانى فى فيلم معالى الوزير لاحمد ذكى حيث اصاب معاليه الأرق والكوابيس جراء ذنوبه...

د . يحيى:

بصراحة يا كريم أنا لا أذكر فيلم معالى الوزير تفصيلا، أما كتاب الأمير فهو ليس درسا فى النفعية فقط، ولكنه درس فى واقعية بشعة.

حين صدر الحكم براءة المتهم فى حادث القتل الجماعى فى بنى مزار، بعد أن تفضل زملاء أمناء بإثبات أنه ليس به مرض عقلى يخليه من المسئولية، جاء الحكم ليؤيد الترجيح الذى ذهبت إليه فى مقابلة إعلامية سابقة عقب الحادث مباشرة، ثم دعيت إلى مناقشة الحكم على الهواء لمتابعة ما سبق أن أبديته من رأى، وإذا باللواء الذى رسم ظروف القبض على المتهم يتداخل هاتفيا ويصر على التشكيك فى حكم المحكمة وشجبه، دون مراعاة لقداسة الحكم أو إشارة إلى أساليب استئنافه، واحتد النقاش وأنا أحاول أن أحول بينه وبين ترجيح القضاة لإثبات موقفه، وهو "ليس" "منا" أصلا، فظللت لعدة دقائق أقاطعة قائلا "أتمنى لك نوما سعيدا، أتمنى لك نوما هادئا، يا سيادة اللواء أرجو أن تستطيع أن تنام الليلة..الخ"، أقول ذلك وأنا أتصور - كما رسم وحيد حامد - أن هذا التنبيه له أثر فى إبلاغه رسالة ما، أعنى أن يقلقه موقفه هذا فيحرمه من النوم، ولكننى حين عدت تلك الليلة إلى بيتى وجدت أننى أنا الذى لم

أتم من فرط انزعاجي للسهولة التي يتعاملون بها مع القانون والأرواح، والتي تحتاج إلى قدر من تبذل المشاعر لم أستطع مجرد تصوره.

د. أميمة رفعت: 2008-2-9 الشعور بالذنب في السياسة والحرب

ربما لو شعر الظالم بالذنب لكفانا الله شره وظلمه و لانتهى الأمر. ولكن ماذا عن شعور المظلوم بأنه ضحية ، ثم يعجبه الحال فيظل ضحية مدى الحياة ، يجتر قصته اجترارا، فيبكي على نفسه ويرثى حاله، ثم يستجدي الرثاء من الآخرين، فيحصل على مراده مرة بعد مرة، ثم تبوخ القصة بأكملها فيدير له الجميع ظهورهم، و يصبح عنده حينئذ قصة جديدة كضحية منبوذة يجرمها الجميع حقها في الحياة...

في خضم تقمصه الضحية يتوقف عن التفكير وعن الفعل و عن الحياة ... يتجمد.

ألا نرى هذا النموذج على مستوى الدول كما الأفراد؟ مع الفارق، فعلى المستوى الدولي هو مثير للإشمزاز لأنه ربما كان متعمدا !! أما الأفراد فيحتاجون المساعدة، بل ان مساعدتهم واجبة.

هل وجدت هذه الحالة حظها لديكم في سر اللعبة؟

د. يحيى:

لا أظن أن ذلك جاء في ديوان "سر اللعبة" تحديدا، ولكني أذكر أنني تناولت هذه القضية بشكل مباشر في ديواني في أغوار النفس حين قلت:

هوا انا ممكن أقتل إلا الى اختار قتلُهُ؟

تبقى جريمة عاملها اتنين

كل جريمة عاملها اتنين

ذنب المقتول زى القاتل،

أصله استسلم.

وأعتقد أني سأعود إلى ذلك كثيراً وأبحث عنه أيضا في ديوان سر اللعبة وشرحه في السيكيوباثولوجي.

أ. ياسين: 2008-2-9 الشعور بالذنب في السياسة والحرب

إنتحارك يا د. يحيى نيابة عنهم قد ذكرني بالمسيحية ... وبموت سيدنا عيسى ليغسل ذنوب البشر

... أيضا أرى أنك تحاول أن تتقمص ليس المرضى وأولئك الطغاة فقط، ولكن نحن أيضا... ولكن كيف يمكنك تحمل كل هذا... كل هذه الآلام؟

.. و لا عجب أننا لا يمكننا تحمل آلامك... أو حتى رؤيتها...

د . يحيى :

شكراً يا ياسين ولكن دعيني أصارحك أنى مع احترامى لمشاعرك رفضتُ فكرتك، وربما موقفك.

أنا لم أفهم أبدا هذه الفكرة المسيحية، مع أنى تصالحت مع أفكار مسيحية رائعة أخرى اتسع بها أفقى مثل أن الله واحد في ثلاثة أقانيم، ومثل التناغم في الملكوت، ومثل ألا نضع طعامنا أمام الخنازير فإنها تدوسها، أما حكاية أن فردا يتعذب ليغسل ذنوب الآخرين فأنا لم أتصالح معها أبدا

نهاية التعتعة التى تشيرين إليها كانت بالنسبة لى الجزء الأهم وقد فرحت أنك التقطيتها، فى حين غابت عن كثيرين، كل الحكاية أنى حين تقمصت هؤلاء المجرمين مع عجزى أن أتقمص بلادتهم وموت مشاعرهم مما يجميهم من رؤية أو تحمل تبعه ما يرتكبون، حين فعلت ذلك لم أستطع أن أكمل الحياة بكل هذا الخزى والألم.

يبدو أنه لى يكون الواحد قاتلا لابد أن يكون متبدلاً أولاً.

أ . محمد غنيمي: 9-2-2008 الشعور بالذنب فى السياسة والحرب

سئلت مدام "\أولبرايت\"-وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة- فى مقابلة تليفزيونية ، عن استقالة اثنين من مفوضى الأمم المتحدة ، مسئولين عن تنسيق برامجها فى العراق ، وهما "\دنيس هاليداي\ " و "\هانز فون سبونيك\ " ، وكلاهما قدم استقالته لأنه لم يستطع أن يحمل على ضميره وزر وفاة نصف مليون طفل عراقى راحوا ضحية نقص الغذاء والدواء، بسبب الحصار الذى فرضته الولايات المتحدة -باسم الأمم المتحدة -على العراق ، فأجابت قائلة باخرف: "\ربما أنه ثمن غال كما تقول، لكننا نرى أن الهدف الذى نطلبه يساوى ذلك الثمن وأكثر منه!"\أرأيت يا دكتور يحيى إلى أى مدى تشعر هذه الليدى الرقيقة بالذنب على قتل حكومتها لنصف مليون طفل؟!!

د . يحيى :

رأيت، رأيت جدا، وباليتمنى مارأيت.

هيا لا نتوقف عند الألم، هيا نحول دون التمدادى فى ذلك.

أ.محمد غنيمي: 10-2-2008 عن الموت والجئون والإبداء

هل نكره الموت لأننا نجعله ؟

د . يحيى :

ربما

أ.محمد غنيمي: 10-2-2008 عن الموت والجئون والإبداء

هل الإقبال عليه بالانتحار مثلاً يعنى حبه ؟

د . يحيى :

لا طبعاً

أ. محمد غنيمي: 10-2-2008 عن الموت والخون والإبداع

هل حبه يبرر الإقبال عليه؟

د . يحيى :

لا أيضاً

ومن ذا يجب الموت؟ ولا حتى المنتحر

المنتحر يكره الحياة، لكنه لا يجب الموت، ولو أحب الموت فسوف يجب الحياة، فلا ينتحر.

أ. محمد غنيمي: 10-2-2008 عن الموت والخون والإبداع

هل تعتبر عمليات المقاومة الاستشهادية هي المعادل الموضوعى للانتحار؟

د . يحيى :

يا ترى هل تعرف مغزى وأبعاد حدود ما يسمى "المعادل الموضوعى"؟ لقد تعبت حتى فهمت بعض ملامحه، المهم رأي أن المقاومة الاستشهادية عمل أروع من أن تضعه تحت لفظ واحد، وبالذات الانتحار، كيف يكون استشهاده وانتحار معاً وهما متناقضان أصلاً وتاماً.

أ. محمد نشأت: 9-2-2008 الشعور بالذنب في السياسة والحرب

تساؤل: هل هذا التقمص المقصود بسبب التعاطف هو ما يسمى (empathy) وهل يجب أن يكون موجوداً مع كل المرضى ؟

د . يحيى :

ليس تماماً، وأحب أن أشير إلى أنني أتصور أن المسألة أكثر من التعاطف، وقد ترجم هذه الكلمة (التي هي غير العطف Sympathy) إبنى د. إيهاب الخراط إلى المواجهة وهي ترجمة جيدة، (نحو المواجهة استخدامات الدهشة) - عدد يوليو 1998 مجلة الإنسان والتطور).

أما أن يكون التقمص موجوداً مع كل المرضى، فخبرتي تقول، يا حبذا أن يكون الأمر كذلك، ولكن "لا يقدر على القدرة لا الله" وكل بحسب جهده.

د. محمد أحمد الرخاوي: 8-2-2008 حوار يربد الجمعة

... لم أتصور انه لم يصلك من كل الحوارات (أو كشكل الحوارات السابقة) ان قضيتي هي غائبة البشر وان عندما اصرخ اصرخ لغياب هذه الغائبة عند كل البشر، عباد الرحمن هم كل الناس طبعاً وهو اعلم بهم بعد ان اشهدهم على انفسهم

د. يحيى:

وصلني، لكن صوتك يا محمد عالي، والسخط شديد ملاحق،
والغناية غامضة (مع أنني لا أنتمى إلا إليها)

د. محمد أحمد الرخاوي: 8-2-2008 حوار بريد الجمعة

قضيتي وقضيتك هي الحركة من الله واليه طول الوقت.. حتى بعد الموت!!! كل من انفصل عن أصله يطلب اياه وصله، ونحن لم ننفصل إذا اخترنا انفسنا بذهابنا اليه، الياء، الى كل البشر فنفرح بكل شئ ونحب الله ويحبنا "وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون (بالله) قالوا سلاما".

د. يحيى:

بل نحن قد انفصلنا، لهذا نسعى إلى أصلنا، إليه، إذا كنا لم ننفصل فلماذا نحاول إعادة الاتصال؟

د. محمد أحمد الرخاوي: 8-2-2008 حوار بريد الجمعة

حين زرت "بالي" مؤخراً فوجئت بشعب طيب دمتم جدا وفي سلام نفسي جميل مع نفسه باين على وشوش الناس وهم 80% منهم هندوس فافتكرت لما مصطفى يحيى ابن عمي، ابنك، اتكلم عن الموضوع ده، وافتكرت لما اتكلمت انت عن فلسفات الهندوس او البوذيين وفعلا قدرت ان علاقة الناس دي برينا اكيد احنا مش عارفين عنها حاجة. المهم البلد كلها أصنام.....!!!!!!!

د. يحيى:

ومع ذلك، إذا قلت لأحد الذين هم هنا ممن تعرفهم: كلمة هندوس فإنه سوف ينبرى لك فوراً قائلاً وبدون أدنى تردد: آه مش اللي بيعبدوا البقر! وخلص، يا خير! وهذا هو أنا، وابني، وابن أخي كل من موقعه، ندافع عن حق الهندوسين في الهندوسية، يا ترى هل لعائلتنا أصل هندي؟!

د. محمد أحمد الرخاوي: 10-2-2008 عن الموت والجنون والإبداع

.... أنا لم اصاحب الدنيا ابداء، لم اخدع بها لم تتمكن ابداء مئى، بل اشقاني أن أنفصل عن اصلي، لم يجرؤ ان يتخايل امامى ظلال الزيف، لم تستطع الدنيا ان تصرعنى أعلم انى حتما اشقى من حولي ممن يحسبون حساباتها، لم أمسك أية شعرة من شعراتها لأنى أوقن ان ليس لها جذور، أحب الموت ارجوه اصبر، لا يفهمنى لا يدركنى إلا من هم مثلى، أتسلح برحمة ربي.

د. يحيى:

لا أحد يجب الموت يا محمد (انظر ردى على محمد غنيمي)،
واحدة واحدة لو سمحت، من فضلك

واحدة واحدة!! من أين لك كل هذا اليقين ... يا شيخ؟ لا تكن واثقا هكذا.

أ.رامى عادل: 8-2-2008 حوار بريد الجمعة

د. محمد يحيى الرخاوي: 2-7-2008 (العلم 31)

في الفقرة الأخيرة من التعليق على العلم (31) "هل كان داخله يرى عمق الموقف "الحقيقي" الأكثر إبلاماً بهذا الوضوح؟

1) أذكر جيداً موقفكم من السلام عندما زار السادات القدس، بل وأذكر متى وصلني وكيف تأثرت به وتبنتيه (دون نضح كاف) ودفعت ثمن ذلك باهظاً (جداً)

قد أتصور أني أعرف مبررات تغيره (أي: موقفكم)، ولكنني لا أوافق على هذا التغير ولا أحبه، ليس هناك طريق آخر أصلاً، إلا تعميق الهزيمة بغياء منقطع النظر (إلا عند من يريدون الانتحار) [أفكر أحياناً في الدخول مع الكلاب في معركة حياة أو موت]

د. يحيى:

الأرجح عندي أنني لم أغير موقفي، وأتذكر أنني كتبت في هذا كثيراً وأتعجب أنه لم يصلك، مع أنك كنت أول من أبلغته هذه الرسالة وكان عمرك خمسة عشر عاماً أو أقل، كنت أوصلك إلى المدرسة وقلت لك، على ما أذكر: هذه هي بطولة الخائن، مثل بيتان حين سلم باريس، وربما زدت: لقد ضحى السادات بنفسه وسعته وتاريخه حياً في وطنه، وكان شرطياً لقبول ما يسمى السلام بعد ذلك هو أن نتألم، لا أن نفرح، وأن نستعد لدفع الثمن، لا أن ننتظر قبض الثمن، ولا هذا ولا ذاك وصل لأحد، وربما هو لم يصل للسادات نفسه، مازلت معترفاً بالجميل له، لكن هناك عمق خطير في المسألة لا أنكر إن كنت قلته لك أم لا.

لعلني أكثر واحد يعرف عيوب السادات، وهي عيوب الفلاح المصري الذي هو جزء من طين مصر، بكل عيوب طين مصر: تقديس التراب، والذكاء البدائي، الذي ينقذه أحياناً بحيل لثيمة يتميز بها، لكنه هو الذي يقتله كثيراً، هذا الرجل السادات ضحك على بيجن وكارتر فعلاً، ونجح أن يأخذها شراً شراً من فم الأسد، لكنه صدق نفسه أكثر مما ينبغي، وضحك على نفسه وهو يضحى بها غروراً انتحارياً فعلاً... الخ.

هناك فرق شديد يا محمد بين أن تعتبر أن مصر هي أنت. وبين أن تتصور أن "أنت" هو مصر، أعتقد أن خطأ السادات، أنه لم ينتبه إلى هذا الفرق، ربما، بدأت أشك في ذلك من سيرته الذاتية "البحث عن الذات" فوجدته قد تقمص مصر، ثم خشيت أن يكون ابتلعها، ورضيت بالحصلة على أية حال، لأنها لصالح بلدي، أرضي، فأنا فلاح مثله.

لاحظ يا محمد أنني قلت الموقف الحقيقي الأكثر إبلاماً، ولم أقل الأكثر صواباً، أو الأحسن.

ثم إن المسألة أنني لا أكتب مقالا أو موقفاً سياسياً يسمح

لك أن تحكم له أو عليه، المسألة هي نقد أدبي لنص بين أيدينا، كتبه مبدع نعرف موقفه، والتناقض هنا رائع لا يعيبه ولا يشير إلى أنه تراجع، ولو أن تراجعنا ظهر في ابداعة ليعلم موقفه الأعمق، ثم كان ما تراءى له ظاهراً على أرض الواقع هو موقفه الأسلم والأدكى والأكثر مسئولية، فما المانع ونحن ننقده، أن نرى الموقفين معاً، وأن نحترمهما معاً؟ حتى نتعلم من كل ذلك يا أحي؟

وعلى هذا، فأنا أيضاً لم أغير موقفى، بل لعله زاد عمقا لأنه زادنى أما طول الوقت،

إننا توقعنا عند الاختيار بين سلام نصفق له، وعناد نفخر به، حتى لو كان عناد الغي المحتل،

كنت ومازلت أقول أنا مع سلام نتألم له، وننتقل منه، لأننا مهزومين حتى بعد الانتصار الأخير، والهزيمة هي بداية الانطلاق إلى طريق آخر

د. محمد يحيى الرخاوى:

... نحن لم نبحث طريقاً أخرى بعد؟؟ نعم، ولكن الله يظل عادلاً، وعلينا نحن أن نعيد النظر في فهمنا للعدل لكي نستطيع اكتشاف أنه موجود ومتحقق فيما هو حادث ويحدث وسيحدث، خاصة ونحن لا نعرف ما سيحدث، ولكن يظل علينا أن نتعلم أن العدل والظلم في مسألة الحضارات لا يقاس بالسنين، بل بالقرون، وأنا لم نراهن على القرون بقدر ما ندعى الحق والكرامة.

د. يحيى:

أنا معك، لكننى كلما قلت ذلك تصوروا أننى أهرب من مسئولية اللحظة الراهنة، ثم لا ننسى أننا لم تعد فقط في انتظار قياس موقفنا أو دورنا في حضارة قادمة بقدر ما أننا - جميعاً المنتصر والمهزوم - مهددون بانقراض نوعنا (الجنس البشرى) بما في ذلك كل ما نسميه حضارات متعاقبة

حتى الآن يا محمد لا أعرف ما الذى استفزك هكذا.

د. محمد يحيى الرخاوى

إن ما استفز في الجملة المقتطفة من تعليقكم [يرى عمق الموقف الحقيقى الأكثر إيلاً] فهو لفظ "الحقيقى" الذى تمارسون به قطعية (دوجما) لا منهجية، لا تتناسب مع عموم مواقفكم ولا مع أى منهجية منصفة، والحق أنكم تستخدمونه كثيراً استخداماً لا يختلف كثيراً عن استخدامات غيركم من الأصرح دوجما، خاصة عندما يتحدث كل منهم (وهم أصداد وخصوم) عن الدين "الحقيقى" وتفسيره "الصحيح" الخ.

د. يحيى:

.... بالله عليك يا رجل ما دخل الموقف الحقيقى الأكثر إيلاً إيلاً بالدين الحقيقى؟ يا شيخ حرام عليك!! الموقف الحقيقى أقصد به الموقف "الواقعى المؤلم المنهزم المغامر

المستسلم، ليبدأ" .. أين كل هذا من الاستراحة عند الدين الحقيقي الأوحى يا شيخ؟! .

أ. هالة تمر: 2008-2-6 (الإشراف على العلاج النفسي: تنشيط حركية النمو أثناء العلاج إلى أين؟)

وصلنى من عرض هذه الحالة الجديد التالى:

* وصلتنى التفرقة بين الحركة ورصدها، وبين استيعابها وواقعية تفعيلها، لم تكن هذه النقطة واضحة هكذا فى ذهنى قبل قراءة اليومية، كان لدى خلط بين الحركة النوعية ومحتواها أو مسارها وبالتالى قيمتها.

* أيضا: وصلتنى إضافة من ذكر محكات الإنجاز العادى الى بنقيس بيها بعيداً عن منطقة النقلة العلاجية.

د. يحيى:

أشكر

د. ماجدة صالح: 2008-2-6 (الإشراف على العلاج النفسي: تنشيط حركية النمو أثناء العلاج إلى أين؟)

ملاحظات أخرى:

أعتقد أن الفرق بين تدريب المعالج النفسى وتدريب "بليه" الميكانيكى يكمن فى تعريف العلاج النفسى. وكيف أن التغيير الناتج علاجاً يكون بسبب العلاقة الإنسانية بين المريض والطبيب، مما قد يفسر اختلاف المستوى فى العلاج بين المتدربين حتى بعد الوصول للسنة الرابعة واعتماد ذلك على درجة نمو كل من الطرفين.

د. يحيى:

لم أفهم يا د. ماجدة، هل تقصدين نمو كل من المريض والطبيب؟

إن كان ذلك كذلك، فأنا معك.

د. ناجى جميل: 2008-2-10 (عن الموت والجنون والإبداع)

أثناء قرأتى اليومية، تصورت أن الموت هو "وجود آخر" هذا الوجود الآخر يشمل وعى آخر ومفردات معرفية مختلفة تخص وتميز هذا الوجود الآخر. وهذا يمكن أن ينطبق على الموت الجسدى (وما بعده) والموت النفسى المرضى وأنواع أخرى..

د. يحيى:

يا د. ناجى أرجو أن تقرأ ردى على د. أسامة عرفة، فأنا اقتربت -سناً- من دخول هذه الخبرة، وحين أعيشها (باعتبار أن الموت حياة) أعذك أن أخبرك ولو فى أحلامك.

لا لا!! تأخذها جدا يا ناجى ولا تحف هكذا... أنا لست "وراك وراك" لهذه الدرجة!

د . مى عبد السميع: 24-1-2008 (العلم 27)

انتابنى شعور غريب بالراحة عند قراءة "ينقشع بيقظه دافئة بالسرور" ولم أفكر في "الرحم الخاني" ولكن عند قراءتى للقراءة وجدته أقرب لما قد يكون كذلك فعلاً

ثم ان الوعى بخاطر القتل هكذا ، جعله يرتد إلى ذاته " برجاء التوضيح أكثر

قد رأيت حبيبتى فهرعت نحوها" بالرغم من كلمة "حبيبتى" التى استخدمها شعرت أيضا حين قراءتى لها أنها من نسج خياله لا أدرى لماذا؟

"ورمت بنفسها في العاصفة" أوجعنى إحساسه بأنه غير مرغوب فيه ،

هذا ما وصلنى من قراءتى:

وصلنى الاحساس أنها كانت تلعنه

د . يحيى:

إذا كانت الحبيبة نفسها هى من نسج الخيال، فما هو الداعى ألا تكون حبيبته الخيالية فعلاً؟

ولماذا تشكين أن ذلك هو مجرد تصويره؟

ثم ما هو الداعى أن تتصورى أنه غير مرغوب فيه وأنها بالتالى تجرى منه، لا تدعوه - كما تصور هو - إلى طريق الخلاص؟ وهو الانتحار معاً (روميو وجوليت)، ثم لا يحول دون ذلك إلا مدرس الحساب القاسى المنقذ المستهدف للقتل معاً؟

عموماً: أنت وماترين على أية حال، لك كل الحق في وجهة نظر أخرى

د . دينا طلعت: 30-1-2008 الشعور بالذنب (4) أغنية للأطفال، ورحمة بنا

وصلنى:

- أن اكتساب حرية الإرادة يولد احتمال الشعور بالذنب
- قد يكون الشعور بالذنب رغبة في الاعتمادية المطلقة وعدم التغيير
- ذكر الذنب إصرار للعودة إليه والوجد به

د . يحيى:

أنا شاكر لك يا دينا

هذا هو لب ما أردت توصيله

169- مستويات الحضارة المحكات الساذجة، والفعل اليومى البسيط

تتكون الدنيا كلها من أشياء بسيطة، حتى " الدهر " نفسه هو ليس إلا مجموع خطاته،

الأشياء البسيطة بسيطة، تُرى أولاً تُرى بالعين المجردة .

تتجمع الأشياء البسيطة في أشياء محددة،

ثم تتميز الأشياء المحددة في أشكال منتظمة،

ثم تتشكل الأشياء المنتظمة في المحيط الممتد،

فنعرف في أى عصر نحن، في أى مرحلة، إلى أين،

وإليك بعض الإشارات والمحكات:

مثال (1) هل هناك فرق بين الساعة السابعة والساعة السابعة إلا عشر دقائق، أم أن الساعة السابعة هي هي الساعة السابعة إلا عشرة أو الساعة وعشرة؟

أدرس وأدرّب في قصر العيني على العلاج النفسى منذ 38 عاما بدءاً من الساعة السابعة إلا عشر دقائق صباحاً، كان يوم الثلاثاء (ثم أصبح الأربعاء)، أما المرور الإكلينيكي الأسبوعى فهو يوم الخميس وهو يبدأ الساعة السابعة وخمسة عشرة دقيقة صباحاً، سألتى الدارسون لماذا هذا التوقيت الغريب؟ لم أجب في البداية وتركتمهم يستنتجون، ثم اضطرت أن أشرح كالتالى: لو كان الموعد السابعة وتأخر أحدهم عشر دقائق أو ربع ساعة، فسوف يكون عذره أننا - على كل حال "حول السابعة"، لكن الساعة إلا عشر دقائق ليس لها "حول"، يصبح سخيفاً أن يقول أنه تأخر لأن الساعة "حول السابعة وعشر دقائق" .. جُزب تقولها وسوف تعرف الفرق.

مثال (2) هل لاحظت - وإن كنت تسافر إلى الخارج قارنت - أنه لم يعد وجود لما يسمى **الباقى** عند التعامل بالنقود بين الناس؟ لا توجد بقية تُمن تذكره السينما، أو البنزين، أو ورقة الدمغة، أو وجبة طعام، أو تذكرة قطار:

• إن كان هناك باق بالتحديد لما تدفع فهذا مستوى حضارى،

الفعل البسيط المنتظم (تلقائياً) المستمر هو أصل البقاء،
تحدّث قانون البقاء الآن، فلم يعد البقاء للأشطر، أو
للأقوى، أو للأشد افتراساً وأقسى قتلاً، ولا للأغنى ولا للأعلى
صوتاً ولا حتى للأعظم إبداعاً،

البقاء الآن

- لذى النفس الطويل،
- المنظم بإصرار،
- الذى ينجح أن يتجنب المعارك الجانبية، والنشاطات
الدائرية حول نفسها،
- الذى يحسن وضع الطوبة فوق أختها باستمرار باستمرار
دون أن ينظر إلى مدى ارتفاع البناء.

استشهادات:

أولاً: من حكمة المغانين

الحكمة رقم (5) تقول:

الفعل اليومي المتقن .. إسهام رائع في مسيرة الحياة، لأنه
يقربك من قانون "القدر"

الحكمة رقم (4)

".. لا تستهن بالفعل البسيط العادى المستمر، فشمول
رؤيتك لا يغنى عنه، وهو في ذاته إثبات لإنسانيتك وتواضعك
البشرى الرائع في سعيك اليومي المتصل إليه، حتى بغير علمك".

الحكمة (6) تقول:

لا يوجد مقياس لأى صحيح ... إلا الفعل اليومي الصحيح

الحكمة (7) - بعد التحديث- تقول:

حينما تدور الدورة كاملة، ستجد نفسك حيث بدأت:

تقوم بكل الأشياء العادية البسيطة التى كنت تقوم بها
منذ البداية،

هى نفس الأشياء العادية البسيطة،

لتكتشف معنى نبض الأشياء العادية البسيطة.

الحكمة (7)

حين تقوم بالفعل الذى مثل كل الأفعال

وتتحدث الحديث الذى مثل كل الأحاديث،

ولكنك ترى في هذا وذاك الرؤية التى ليست مثل كل الرؤى،

تكون هذا أنت الذى ليس كمثك شئ،

ولكنك أيضاً لست خلفاً لأى شئ.

الحكمة (10) - تحديث-

إذا أحسنت رؤيته وهو يعمل مُلْتَمِماً بالطيبة

الأمد 17-02-2008

170- "لعبة الذل" بين المرضى والأسوياء (1) المرضى

هل يمكن أن أقبل الذل على نفسي أو أن أذل "نفسى"؟
لماذا، وكيف؟

الأرضية النظرية

الشائع أنه لا أحد يقبل على نفسه الذل، وأنه إذا كان ثم ذل فهو قادم من الآخرين، من السلطة بالذات، سواء كانت سلطة أبوية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، ولكن هذا الشائع ليس هو الحقيقة الوحيدة في القضية، حيث أن الإذلال من الخارج لا يسرى أو يستشرى إلا على من يقبله، أو ينحني له، والمذل - في الخارج - لا يتمادى في الإذلال إلا لمن يرضخ له، وأحياناً يستطيب المذلون ذلّه وهو يدعى العكس (كل ذلك دون أن يدري عادة).

الأخطر من ذلك، هو أنه في كثير من الأحيان يبادر الواحد منا إلى إذلال نفسه مجاناً، أو احتياطياً، أى بدون داع ظاهر لذلك، وغالباً هو لا يدري أنه يفعل ذلك، ثم هو يروح يسقط هذه العملية (عملية الإذلال) على العالم الخارجى، وكأن العالم الخارجى هو الذى يقوم بإذلاله، وحين تكون القوة المذلة في داخل النفس فإن الكشف عنها - في سياق علاجي - يصبح الخطوة الأولى في تحرير الذات والانتقال بها إلى درجة من الرؤية، مع أمل في نصيب من التصالح بين الواحد ونفسه.

اللعبة.

بدأت اللعبة في إحدى جلسات العلاج الجمعي، قصر العيني حين ذكر المعالج الأساسى (د. يحيى) زبيدة بأنها قالت في الجلسة السابقة أنها مستعدة أن تركع تحت الأقدام وتطلب المساعدة، وذكرها الطبيب المعالج كيف أنه، والمجموعة، رفضوا هذا الوضع، وكيف أنهم تحدثوا في أنه لا جدوى مما تفعله بنفسها هكذا، وأنها تمارس هذه الطريقة على "العمال على البطال" مع كل الناس، وعلى الرغم من أنها لم تحصل منها إلا على نتائج سلبية فإنها تتماذى فيها.

ولم تنكر زبيدة ذلك - تقريباً - لكنها راحت تتساءل ماذا تفعل بديلاً عن هذا التصرف؟

8 - د. يحيى
يا (...). أنا مضطر أذل نفسي علشانك (موجها كلامه
للدكتور حسن)
ثم: يا (...). أنا مش حاذل نفسي حتى لو ما قدرتش أكمل.

9- مديحة
يا (...). "أنا مضطرة أذل نفسي علشان أعيش"
ثم: يا (...). "أنا مش حاذل نفسي حق لو هأموت"

10- أحمد
يا (...). أنا مضطر أذل نفسي عشان أدارى ضعفى، أدارى
إلى جوايا"
ثم: يا (...). أنا مش حاذل نفسي حق لو "كان ده وهم
بالنسبة لي"

11- د. أكثم
يا (...). أنا مضطر أذل نفسي عشان أتعين"
ثم: يا (...). أنا مش حاذل نفسي حق لو "رموني في الشارع"

ملاحظات عامة مبدئية

(1) كان الاستغراب في البداية عاما، فلم يكن أحد من
المجموعة يتصور أن هذا الكلام يمكن أن يكون حقيقة، وكانت
المقاومة واضحة لكنها سرعان ما خفت بعد البداية حتى زالت
تماما تقريبا.

(2) لم يتوقع (المعالجان أساسا) من بثينة أن تشترك بأى
كلام له معنى حيث أنها كانت في حالة من التفسخ الغصامى
شديدة، وكان انتباهها الإيجابي بآدى الانسحاب ومع ذلك بادرت
هى وطلبت أن تبدأ اللعبة فجأة، على عكس توقعاتنا.

(3) جاء دور زبيدة متأخرا (بالصدفة) علما بأنها هى
التي كانت سببا في ابتداء اللعبة، وبدا أن هذا قد أعطاهما
فرصة أحسن لترى عمومية ما كانت تتصور أنه خاص بها دون
سواها.

تأويلات فردية (لكل استجابة على حدة):

1-بثينة

يا (...). أنا مضطرة أذل نفسي علشان مش قوية"
ثم: يا (...). أنا مش مضطرة أذل نفسي حق لو ضعيفة"

كررت بثينة كلمة مضطرة في الجزء الثانى من اللعبة، رغم
أن الكلمة لم تكن موجودة في النص، وقد يكون في هذا ما يفسر
التناقض الظاهر جزئيا، فأول وهلة يبدو الكلام متناقضا
إذا ساوينا بين عدم القوة (مش قوية) والضعف، ولكن يبدو
أنهما ليسا مترادفين، فعدم القوة هو نفي للقوة، وبالتالي
يترتب عليه مشروعية الإذلال، وكأن بثينة حين تتنازل عن قوتها
لايبقى أمامها إلا أن تذل نفسها، أما الضعف، فيبدو أنه
يشير إلى الضعف الطبيعي (وليس كف القوة)، وبالتالي فهو
(الضعف الطبيعي) ليس حائلا دون أن يرفض الإنسان الذل.

المهم أن هذه التفرقة المحتملة -التي هي تأويلنا الآن- جاءت من مريضة فصامية في حالة شديدة من التفسخ، ومع ذلك لعبت اللعبة بهذه الصورة.

وتناقض المريض الفصامي هو من أهم أساسيات مرضه، ولا تصح المبادرة برفض تناقض المريض والاكتفاء بمجرد اعتباره عرضاً من أعراض مرضه، بل ينبغي أن نغوص في احتمالات التفرقة الدقيقة التي لا تخطر على منطلقنا العادي، بل إن الجدل السلي الذي يتدهور إليه الفصام، هو أساس الجدل الإيجابي الخلاق لو أحسن إعادة توجيهه، أي لو لم نسارع بطمسه أو إنكاره.

2- نادية

يا (...). أنا مضطرة أذل نفسي علشان أحقق اللي أنا عايزاه"

ثم: يا (...). أنا مش حاذل نفسي حق لو هاموت".

نلاحظ هنا كيف يرجح الموقف بين الوصلية المباشرة في صورة الصفة المعلنة، وبين الرفض الأبي، ولا ينبغي أن نختزل الموقف إلى ادعاء صراع لا بد أن يحل بترجيح أحد شقيه كما يجب الناس أن يتصوروا، وكما أشاع المفهوم الدينامي السطحي لسوء استخدام التحليل النفسي، ذلك لأن وجود هذا التناقض الحيوي هو جزء لا يتجزأ من الطبيعة البشرية.

وهنا يبدو أن نادية تعرف أن إذلال نفسها بمحض إرادتها هو أمر وارد لتحقيق مأرب بذاته، أي أنه تكتيك، وأن إذلال النفس من حيث المبدأ قضية مرفوضة حتماً، وكأن الإنسان يمكن أن يستعمل الذل من الخارج، دون أن يذل نفسه حقيقةً وفعلاً، ولعل هذا هو بعض ما يعنيه المثل العامي الذي يعلن بألم أنه "والكلب لما حكم، قاله الأسد يا عم".

وهذا الموقف التكتيكي يأباه عادة أدعياء المثالية الأخلاقية المطلقة، والنتيجة أن يتمادى إذلال النفس لا شعورياً بما يترتب عليه تشويه الذات، وعدم تحمل التناقض أصلاً.

ويمكن تصور أن الطمأنينة إلى قوة الإصرار على رفض الذل حتى الموت (الجزء الثاني من الاستجابة) هو الذي يسمح بقبوله تكتيكياً، ولو أننا سمعنا الجملة الثانية وحدها، لتصورنا أن الجملة الأولى يستحيل أن توجد أصلاً، لكن وجود الجملتين عند نفس الشخص وإعلانهما بهذه القوة قد يشير إلى أن قوة الجملة الأولى هي مستمدة من يقين الجملة الثانية، أي أن الذي يقدر أن يقرر أن يذل نفسه ليحقق ما يريد (ليس من الضروري أن يكون وصولياً)، هو هو الذي يقدر أن يجمي نفسه من الذل حتى لو مات، إذن فلا تناقض في الموضوع مادام الفعل إرادياً محسوباً.

3- نهي

يا (...). "أنا مضطرة أذل نفسي علشان أحقق ذاتي".
ثم: يا (...). أنا موش حاذل نفسي حق لو هاضعف.

وتفاعل نهى في اللعبة يظهر كيف أنها شديدة الوضوح في السعى إلى تحرير نفسها من الاعتمادية، والصفقات الزوجية القاهرة، (أحقق ذاتي)، لكن كيف يتأتى تحقيق الذات مع الذل؟

مسألة تحقيق الذات هذه قضية أسنى فهمها دوماً، ذلك أنها نتاج طبيعي للعلاقة بالواقع، ولتنمية الفعل الإرادي، والخرية المحسوبة، وربط قبول الذل -اضطراباً- بتحقيق الذات ربط دال، لأنه ربما يشير إلى أن الخطوات الوسطى التي تبدو عكس الهدف النهائي، هي جزء لا يتجزأ من مسيرة النمو.

أما الجملة الثانية، فهي إعلان لتحذير الذات من أن الضعف هو دافع خفي أن يتراجع الإنسان عن المواجهة اللازمة للاختيار والاستمرار، بأن يذل نفسه استسلاماً وهربا من هذا وذاك، إلا أن رفض ذل النفس هنا مقابل تحمل الشعور بالضعف، هو مصدر قوة في ذاته، لأن تدهور الإنسان وتراجعه ليسا بسبب ضعفه، وإنما بسبب رفضه لضعفه، وغروره بادعاء قوة غير مناسبة في غير موضعها، وقبول الضعف البشري، وتحمل آثاره هو قوة تسمح برفض الذل، اللهم إلا ما يختاره مضطراً حاسباً واعياً (الجملة الأولى)

4- باسم

يا (...). أنا مضطرة أذل نفسي علشان أعمل اللي أنا عايزه.
ثم: يا (...). أنا موش حاذل نفسي حق لو هايوصلني للي
أنا عاوزه (الذل).

التناقض هنا أصرح، ويكاد يكون متكافئاً تماماً، ولا يسهل بعضه بعضاً مثل الحال في الحالة السابقة، ثم إن ثمة فرقا بين "أعمل اللي أنا عايزه"، و"هايوصلني للي أنا عايزه"، ففي الجملة الأولى قال باسم "أعمل"، وفي الجملة الثانية قال "يوصلني"، وقبول الذل -اضطراباً- المصحوب بعمل، غير أن يتنازل الإنسان بغية "الوصول"، الموقف الأول يوحى بتخطيط مدروس به تنازل في مرحلة متوسطة على مسار عمل هادف ممتد، أما الموقف الثاني فهو رفض أن يكون الذل هو وسيلة "الوصول"، وليس خطوة تكتيكية على مسار الفعل.

ومع ذلك، ولأننا في موقف مرضى قد يحل الوصول محل الفعل، ويختلط الفعل بأوهام الوصول، وهنا يصبح التناقض معطلاً، وليس مطاوعة متناوبة، فيها يسهل كل ذراع حركة الذراع التالية، وقد بدا لي أن تكافؤ الذراعين، وتضادهما -رغم اختلاف الألفاظ- هو أحد أسباب توقف باسم ومرضه.

5 - د. حسن

يا (...). أنا مضطرة اذل نفسي علشان أكمل".
ثم: يا (...). أنا مش حاذل نفسي حق لو بقيت لوحدي.

القراءة في لعب الأسوياء أصعب من تأويل خطاب المرضى، وقراءة لعب الطبيب المتدرب هنا يحتاج إلى معرفة أكبر للسياق الذي يجرى فيه هذا النوع من العلاج والتدريب، وإليكم بعض ذلك:

د. "حسن" يتحمل في سبيل هذا التدريب الخاص أن يختار هذا النوع من الممارسة ضد النهج التقليدي لطب النفسى، وهو في سبيل استمراره، دون مضاعفات عقابية، معلنة أو خفية، يضطر أن يتنازل للسلطة التقليدية كثيرا أو قليلا، وهو يرى أن ذلك لازم إن كان له أن يواصل تدريبه ونموه واستشكافه ذاته، ويمكن - إذن- أن نفترض أن الذل في الجملة الأولى هو تنازل أمام الضغوط ليكمل مسار مرانه في مجال محوط بمقاومة سلطوية معلنة أو خفية.

أما رفض الذل في الجملة الثانية فهو بمثابة الإصرار في مواجهة احتمال فشل تنازله، واستمرار السلطة التقليدية في التلويح بالرفض أو التهديد أو المساومة، فإذا تهادوا في ذلك-وهم كثر- فهو لن يقبل تنازلا أكبر حتى لو بقى وحيدا ليكمل طريقه الذى اختاره وغامر باجتياز أولى مراحل.

6 - سامية

يا (...). أنا مضطرة أذل نفسى علشان غبية.
ثم: يا (...). أنا موش حاذل نفسى حتى لو أخذوا أحلى حاجة عندى.

حين قالت سامية عبارتها الأولى كانت جاهزة أكثر من المتوقع، وإعلانها غيابها هو نوع من اللوم الخفى على اضطرار محتمل، وكأنها تقول: إنها لو كانت أذكى لما قبلت ذلك أصلا، مع أن الذكاء العملى هو الذى يعرف طريق المناورة المحسوبة كما رأينا خاصة في استجابة نهى أو د.حسن، وبالتالي فإن رفضها الذل بالصورة الواضحة في الجملة التالية مشكوك فيه وكأنه إعلان كلامى أكثر من أى شئ آخر.

وقد تأكد هذا الافتراض لأنها -دون غيرها- حين أهت اللعبة سارعت بإمسك ناحية قلبها، شاكية: "آه مش قادرة آخذ نفسى"، وهذا كثيرا ما يشير إلى احتجاج الجسد، بلغته، على كذبة خفية. كما أن إعلان الضعف الجسدى في هذه اللحظة هو دليل على أن جرعة الادعاء كبيرة "حبتين".

فلاحظ أن هذا الموقف المثلث أحدى الجانب، هو الذى يصاحبه لغة مرضية محتجة.

7 - زبيدة

يا (...). أنا مضطرة أذل نفسى علشان أعيش والناس تحبى.
ثم: يا (...). أنا مش حاذل نفسى حتى لو عشت في صحراء لوحدى.

الصفقة هنا أصرح، وأوضح من أى تصور، فكثيرا ما يكون التنازل مقابل أن يتم "الرضا"، والقبول، فالإنسان يحتاج أن يكون محبوبا، ومطلوبا، ومرغوبا، وفي سبيل ذلك يدفع كل

شيء، حتى كرامته، وهذا الموقف مألوف في العلاقات التي تسمى الحب السائد في أغلب الأحيان، (أنا عايزه حد يعوزني، وأعوز عوزانه)، لكنها صفقة خاسرة، لأنه بمجرد أن يتم هذا التنازل المبدئي تتمادى اللعبة وتضطرر التنازلات، فلا يتحقق القبول، ولا "العيشة" التي تصورها التنازلات (أى التنازل والرضى بهذا الذل)، وحين تفشل اللعبة (رضينا بالذل، والذل مارضيش بينا) يقفز الاختيار البديل (الأب، لكنه شيزيدي، أى انعزالي انسحابي).

الاختيار البديل هو ما ورد في الجملة الثانية، وهو ليس اختيارا مناقضا، وإنما هو يوضح مبرر التنازل الأول، لأنه إذا كان عدم الذل قد يؤدي إلى هذه الوحدة المطلقة (صحرا لوحدي) فإن الذل للحصول على الرضا، والحب، والقبول له ما يبرره.

وزبيدة كانت هي التي أعلنت في جلسة سابقة استعدادها للركوع تحت الأقدام طلبا للمساعدة، وبناء على رفض المجموعة ذلك، اقترحت اللعبة لتريها مدى فساد ولا جدوى ما تطلب، وزبيدة هي التي تراجعت عن ذلك آسفة ولم يقبل أسفها شكا في عدم عمق ذلك وثقة في لاجدواه، فجاءت استجابتها في اللعبة تؤكد مدى جوعها للرضا، ومدى اعتماديتها على قبول الناس لها (عشان أعيش والناس تحبني)، ومدى تصورها للوحدة الجذباء (..لو عشت في صحرا وحدي) إذا هي لم تتنازل عن كل شيء في سبيل هذا الرضا والقبول.

فنرى هنا كيف أن المبالغة في تصوير آثار رفض الذل، والرعب منها (..صحرا وحدي)، هو هو الذي يدفع الإنسان لقبول بكل هذا الذل.

وبألفاظ أخرى: إنه إذا كان عدم الذل سوف يؤدي إلى الوحدة المطلقة هكذا في صحراء، فإن الذل يصبح اضطرارا مشروعا لأنه الوسيلة (الوحيدة إذن) حتى تعيش زبيدة، ويجبها الناس.

8 - د. يحيى
يا (...) أنا مضطر أذل نفسي **عشانك** (موجها كلامه للدكتور حسن)

ثم: يا (...) أنا مش حاذل نفسي **حق لو** ماقدرتش أكمل.

هذا الموقف من المعالج الأكبر (المدرّب) مكمل لما سبق ذكره في ظروف هذا التدريب لهذا النوع من العلاج، ضد التوجه الغالب للسلطة التقليدية في هذه المؤسسة (قسم الطب النفسي، قصر العينين) ذلك أن استمرار إتاحة الفرصة لتدريب الأصغر (مثل الدكتور حسن) يحتاج إلى تنازلات كثيرة يمكن أن تدرج تحت ما يسمى "ذلا"، أو على الأقل يستقبلها هذا المعالج الأكبر بوصفها كذلك، ويبدو أنه قد وجد في هذه اللعبة فرصة ليعلن بها للمتدرب (د.حسن) أن تنازلاته ومأزقه في مواجهة السلطة التقليدية ليست قاصرة عليه، بل إن قهر السلطة موجه لهذا النوع من العلاج أساسا، وليس لشخصه (د.حسن)، وأن المعركة مشتركة، والتنازلات الضرورية حتمية على كل من أراد الاستمرار.

والجملة الثانية تنبه أن لهذه التنازلات حدودا، لأنه إذا كان التهديد سوف يصل إلى إيذاء الأصغر تماما وحتما، أو تشويهه الجارى، فالتوقف الاختيارى وارد لا محالة.

9- مديحة

يا (...). " أنا مضطرة أذل نفسى علشان أعيش"
ثم: يا (...). " أنا مش حاذل نفسى حتى لو هاموت"

تناقض آخر، جيد ودال، يؤكد أن الأصل في الوجود البشرى هو مثل هذا التناقض، فقد نجحت اللعبة في أن تظهره في كل واحد بلا استثناء، والتناقض غير الصراع، إذ هو تحريك للبدائل معاً، وتناوبها حسب السياق والظروق، فاللعبة هكذا تنبه أحادي النظرة إلى غياب الاستقطاب وفساد تسطيح الإنسان، فمديحة تدرك أنها لكي "تعيش"; عليها أن تتنازل قليلا أو كثيرا حتى لو بدا هذا التنازل ذلا، ولكنها، كما لاحظنا في أغلب الاستجابات، تضع احتمالا آخر يمنعها من التماهى، فهي تعلن استعدادها أن ترفض الحياة ذاتها في مقابل رفض الذل، وهذا ليس صراعا كما قلنا، فالصراع يستلزم والتذبذب، والتصادم ثم ربما التوقف، أما حضور النقائض معاً بهذا التبادل الرائع فهو ما نقصنا إدراكه، والاعتراف به، والنمو من خلاله.

مرة أخرى، هذا لا يعنى أن هؤلاء المرضى أقرب إلى التناقض الجدل الخلاق، لأن كونهم مرضى يعلن فشل هذا التناقض في الاستمرار "معاً"، والنتيجة هي التوقف أو التراجع أو التذبذب أو الصراع، وهذا هو المرض، نعم: إن المريض النفسى يرينا الحقيقة العارية، الرائعة، لكنه لا يكمل مسارها الأزوع.

10- أحمد

يا (...). " أنا مضطر أذل نفسى علشان" أدارى ضعفى،
أدارى اللى جوايا"
ثم: يا (...). " أنا مش هاذل نفسى حتى لو كان ده وهم
بالنسبة لى"

على الرغم من أن الذل من أشهر وأفضح مظاهر الضعف، إلا أن أحمد، هنا، يرينا فيه بعدا آخر، يرينا أن التنازل -حتى ذل النفس- قد يسهل الانسحاب وبالتالي يعفى من المواجهة فالمعركة، وبالتالي يخفى الضعف الصريح المرتبط بإعلان الهزيمة، وكما يقال: الناس من خوف الفقر في فقر، قد يصلح أن يقال هنا: الإنسان من خوف الضعف، في ذل.

أما الجملة الثانية فهي تمارس صراحة أصعب، وهى أن الإيذاء الذى يرفض الذل أصلا قد يكون وهما مطلقا، وحتى لو كان كذلك، فإن أحمد يتمادى في إعلان قدرته على التماهى في الوهم.

11- د. أكرم

" يا (...). " أنا مضطر أذل نفسى علشان أتعبين"
ثم: يا (...). " أنا مش حاذل نفسى حتى لو رموني في
الشارع"

هذا الزميل الآخر غير منظم في التدريب، ولا في المشاركة في حضور هذه الجسات، وهو من "الشطار" الذين يعرفون طريق "الوصول" بإرضاء السلطة أولاً وقبل كل شيء، وهو صريح مع نفسه كل الصراحة، إذا حضر أى جلسة بدا وكأنه كتاباً مفتوحاً، وكان هذا طبيباً ومفيداً في الجلسات التي حضرها. لكن ميزة انفتاح الكتاب كانت سرعان ما تقل إذا ما التفتنا لمحتوى الكتاب.

واستجابة د. أكثم هنا، إنما تعلن موقفه العملي في الحياة، وهو أنه أدرك أن السلطة سوف ترضى عنه وتعينه في الدرجة الدائمة والثابتة إذا هو مألهاً حتى الذل، وفي نفس الوقت هو يعرف أنه مهما قبل الذل، فلا ضمان لشيء، فهو يضع حداً (وهيماً) لدرجة الذل، لأن إعلانه هذا لا يعنى استعداده للتنازل عن ذل نفسه مقابل الوظيفة، وإنما هو أقرب إلى تيرير التنازل والذل كما ورد في الجملة الأولى (بنفس القياس الذي تحدثنا فيه في تفسير استجابة زبيدة حين قالت إنها لن تذلل نفسها "حتى لو عشت في صحراء لوحدي"، بمعنى أن المبالغة في تصوير ثمن "عدم الذل" (سواء كان الوحدة في الصحراء - زبيدة-، أم الإلقاء في الشارع (د. أكثم) هو المبرر الأول للتمادى في قبول الذل.

وبعد

هذه المحاولة المحدودة جرت بين مرضى ومعالجين، ولم تكن بها إلا لعبتان أحدهما عكس الأخرى كشفت ما كشفت كما رأينا.

دعونا الآن نتساءل

هل هذه الإجابات خاصة بالمرضى دون الأسوياء، وهل شجاعة التعرّى هكذا، وهي جزء من أزمة المرضى هي التي سهلت الإقدام على المصارحة إلى هذا الحد؟

ترى ماذا تكون الاستجابات لعينة من الأسوياء، هذا ما جرى تماماً في برنامج "سر اللعبة" (قناة النيل الثقافية) وهو ما سوف نعرضه في يومية قادمة حتى ربما أمكن مقارنة استجابة المرضى بالأسوياء بأنفسنا.

وفيما يلي اللعبات العشرة التي عرضت بالحلقة الخاصة بـ "لعبة الذل" ندعوك للإجابة عليها بنفس الطريقة التي ذكرناها في (يومية 14-9-2007 "لعبة الخوف" 1)، (يومية 2-10-2007 يا خير اسود، دانا لو أجننت، يمكن) (انظر الأرشيف).

لعبة الذل

مثال توضيحي

أهم حاجة عندي إنى أحافظ على كرامتي... بس ساعات

مثال للإجابة

أهم حاجة عندي إني أحافظ على كرامتي بس ساعات... ما باقدرش!!!

الألعاب العشرة:

ويمكن مشاهدتها في الموقع صوتاً وصورة كما تمت في البرنامج حين عرضها ومناقشتها

(العبة الذل" عرضت برنامج سر العبة - قناة النذل الثقافية بتاريخ 16-4-2004)

- (1) أنا مستحيل أذل نفسي... حتى لو...
- (2) أنا خايف الظروف تخليني أذل نفسي، بعد كده يمكن....
- (3) أنا لو كنت رضيت من زمان اني أذل نفسي.. كنت..
- (4) هوّا فيه حد يقدر يعيش من غير ما يضطر يذل نفسه؟ لكن بقى.....
- (5) طيب وليه نسميه ذل، ماهو ممكن يكون.....
- (6) لو ضمنت اني ما افقشني نفسي وانا باتنازل لدرجة الذل، يمكن.....
- (1) ذلٌ بـذُلُّ.. أنا بقى.....
- (2) دانا لو ضبت نفسي باذل غيرى ولو من غير قصد، يمكن.....
- (3) أنا مستعد أذل نفسي بخطري في حالة واحدة بس، هي إن.....
- (4) كلّه إلا الذل...! يا ساتر!! عشان كده.....

- جميع الأسماء ماعدا المعالج الرئيسي غير الأسماء الحقيقية.

الإثنين 18-02-2008

171- علمٌ و... ماذا؟ أم ه... ماذا؟

مقدمة :

من حق الناس وبالذات الزملاء العلماء أن يسألوا أو يتساءلوا عن موقع ما يرد في هذه اليومية: عن ما هو "علم" وما هو "ليس بعلم" باعتبار أن من يكتبها يحمل لقباً علمياً، وينتسب ولو جزئياً إلى منظومة علمية أكاديمية.

بعد 170 عدداً من هذه النشرة اليومية، التي تركت لها نفسى تحدد ما تراه مناسبا، أو لما يخرج منها ومن مخزون بالصدفة، بعد أو بدون التحديث، أنا شخصياً تساءلت فجأة عن تصنيف ما أفعل، خاصة والحوار قاصر - تقريبا - على من يعرف بعض ما عندي، تساءلت مثلما يتساءلون: ما هذا الذي اكتبه : "علم"؟ أم "خبرة"؟ أم "أدب"؟ أم "كشف"؟ أم "رؤية"؟ أم "ماذا"؟

يقول مولانا النفرى: إذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة فأكتشف بدورى أنه إذا اتسعت الرؤية وأخ الالتزام تعددت الوسائل،

لم أترك وسيلة يمكن أن أحققها إلا وقفزت إلى تعرض خدماتها لأوصل ما وصلني من مرضى أساساً، وأنا معهم، والحق تعالى يجمعني فيهم إليه.

اتهام :

متهم أنا بالجهل، وهذا فخر لمن له منهج يجهل به، هذا المنهج هو أقرب إلى العلم (الذي ليس ضده الجهل كما يقول النفرى) منه إلى أى شئ آخر.

رحت أقلب في أوراقى فوجدتني خطت هنا وهناك محاولات أدافع بها عن جهلى هذا، أعني عن اتهامى بالجهل، ليس بغرض أن أنفى التهمة، ولكن ربما احتراماً لمن لم أستطع أن أبلغه طبيعة ما أحاوله.

وفيما يلى بعض ما وجدته من بدايات المحاولات خلال ثلاثين عاماً:

استهلال:

كنا نأمل أن يحل لنا العلم مشكلة الوجود، بعد أن أفسد الشراح والمفسرون دور الدين في ذلك، لست أدري ما الذي أصاب العلم حتى ضحكوا عليه فأصبح "ديناً" يكاد ينغلق على أهله، يكفرون بنموصه كل من خالفهم، ويعدون مرتداً كل من تجرأ وزحج سقفهم .

ضبطت نفس متلبسا بوضع تعريف للعلم سنة 1978 يسمح لي بالهرطقة المناسبة ضد كنيسة العلم السلطوي والعلم باهظ التكلفة، كان ذلك في مقدمة لرسالة ماجستير أشرفت عليها طالت حتى أصبحت كتابا هو "مقدمة في العلاج الجمعي"

قدمت لذلك قائلًا:

التعريف الذي ارتضيته حين تصورت أن موقفنا لن ينصلح أبداً إلا بإعادة النظر في تعريف العلم بشجاعة تناسب خطي العصر العملاقة... قلت فيه :

العلم هو وسيلة معرفية لتوسيع المدارك والوعي، يغلب عليها استعمال التوجه الفرضي الاستنتاجي، وعادة ما تكون معيياته قابلة للاختيار ولكنها ليست بالضرورة قابلة للإعادة، وهذه الوسيلة تشمل جمع المعلومات بنسق ملتزم، والعمليتان مرتبطتان ارتباطاً مباشراً بدرجة موضوعية وعي القائم بهما. وتتحقق المعلومات وتتصاعد الفروض في هذا السبيل بعدة وسائل تشمل إعادة التجريب، واختبارات التطبيق، وتقييم الإفادة في تحقيق مداها والوصول إلى غايتها، ودرجة تناسبها مع المعارف الموضوعية الأخرى، وكذلك مدى صلابتها أمام اختبار الزمن".

رحت أتأمل هذه التعبيرات:

- موضوعية وعي القائم بهما.
- وتتصاعد الفروض.
- إعادة التجريب.
- واختبار التطبيق.
- وتقييم الإفادة.
- والوصول إلى غايتها.
- ودرجة تناسبها مع المعارف الموضوعية الأخرى.
- اختبار الزمن.

قلت الحمد لله،

بعد عشرين عاما سنة 1997 (دون أن أرجع للتعريف الأول. كنت قد نسيت أني وضعته) وجدتي أعيد تعريف العلم (مراجعات في لغات المعرفة) كما يلي:

"العلم هو نشاط معرفي يتبع منهجا له معالم واضحة، ليست ثابتة ثباتا مطلقا، وهذا النشاط ينتج عنه بشكل غالب منظومة من المعلومات متماسكة داخليا، وعامة نسبيا، على أن تكون هذه المنظومة:

- قابلة للمراجعة
- عتملة الخطأ
- قابلة للتصحيح
- قادرة على تفريخ توجهات وفروض جديدة
- قابلة بدورها للمراجعة، والتنفيذ
- وقادرة أيضا على تجديد منهجها أو اتباع مناهج جديدة
- وقادرة كذلك - بالممارسة - على شحذ المهارة وتعميق الوعي

هل يوجد وجه شبهة، بعد عشرات سنوات؟

وهل تم جديد الآن بعد عشر سنوات أخرى 2008 ؟

لست متأكدا

فجعلت هذه النشرة اليوم لمراجعة بعض ما كان تمهيدا للانتقال إلى تقديم مناهل المعرفة للشخص العادي أساسا، ولن يهمله الأمر مهما بلغت أكاديمته!!!

قبل و وضع هذا التعريف، كان مدخلي إليه هو من خلال وضع تعريف بالثقافة العلمية، وليس للثقافة العلمية هكذا:

"... إذا كان التسخير العملي لمعطيات العلم في تسهيل وتنظيم السلوك اليومي المادى الظاهر هو ما يسمى التقنية (التكنولوجيا)، فإن تسخير معطيات العلم في تشكيل وعى الناس وتنظيم مستويات الوجود.....، يمكن أن يكون هو المعنى من هذا المفهوم الجديد المسمى "الثقافة العلمية".

.....

الثقافة العلمية هي تحقيق التطبيق العملى "الفعل العلم" - تفكيرا وإنجازا وناجما- في إعادة تنظيم الوجود البشرى لعامة الناس، حالا ومستقبلا، وخاصة في مجال تعميق الوعي وتحريك الإبداع.

فما هو "فعل العلم": تفكيرا وإنجازا وناجما ؟

ومن هم "عامة الناس" الذين سوف يسهم العلم في تنظيم وجودهم بتعميق الوعي، وتحريك الإبداع؟

ها كم بعض ما خطرلى من تنوعات تحتاج إلى تمييز وتوضيح مبدئيين

تنبيه

إن ما لحق بكلمة العلم مؤخرًا، يكاد يخرج بما هو علم عن أصل مفهومه، بل إنه مسئول - ولو جزئياً - عن استعماله فيما هو ضده، فأنت حين تصف بحثًا ما بأنه "علمي" وآخر أنه "غير علمي"، أو حين تصف حديثًا بأنه "علمي" أو أنه "غير علمي"، أو حتى حين تصف ثقافة بأنها "علمية" وأخرى بأنها "غير علمية"، وكذلك الإعلام.. إلخ. إنما تفعل ذلك بتسليم تلقائي، وكأننا اتفقنا مرة واحدة، وإلى الأبد، على ما هو علمي وما هو غير ذلك، مع أن هذا لم يحدث، وربما لن يحدث أبدًا بهذه الصورة الوثائقية المحدودة، بل الأهم: أنه لا يصح أن يكون هكذا أصلاً.

تشويه

ثمَّ تشويه لحق بمفهوم العلم ومكانته نتيجة عوامل كثيرة من أهمها:

- 1- غلبة أو اقتصار استعمال كلمة علم على العلوم الطبيعية (وأحيانًا العلوم البحتة، أو العلوم المنضبطة أو المحددة).
- 2- ارتباط كلمة علم (أكثر فأكثر) بكم وطريقة تقديم المعلومات والنتائج (في شكل أرقام وإحصاءات بوجه خاص)، أكثر من دوره البناء في تعميق الوجود واتساع الوعي.
- 3- قصر كلمة علم على ما ثبت بالتجربة مع الإقلال النسبي من دور الملاحظة بطبيقاتها: سواء كانت الملاحظة المقننة أو الملاحظة المباشرة المفصلة، أو الملاحظة المتضمنة للباحث داخل الظاهرة (المنهج الفينومينولوجي).
- 4- التأكيد (لدرجة استبعاد ما دون ذلك) على ضرورة الإثبات بالإعادة (المكررة) قبل السماح بتصنيف الناتج بالملاحظة تحت لافتة ما هو علم.
- 5- المغالاة في أهمية ارتباط كلمة "علم" بكلمة "معمل".
- 6- ارتباط كلمة علم بكم الوثائق والمستندات المدعمة (وخاصة فيما يتعلق بالعلوم الحكائية أو العلوم التاريخية).
- 7- ارتباط كلمة علم في كثير من الأحيان باللموس والمحسوس دون المستنتج والمستخرج.
- 8- الخلط بين العلم كماهية، ونشاط متميز، وبين الحصول على "شهادة" أو درجة أو وظيفة لها صفة لاحقة تسمى علمية.
- 9- تخصيص مؤسسات بذاتها لتتصف بصفة "العلم" وكأنها نافية - ضمناً - لما هو خارجها باعتباره ليس علماً (أو ليس بالضرورة علماً)، مع أن ما بداخل هذه المؤسسات "العلمية" في الدول النامية كثيرًا ما يكون هو الذي: ليس بالضرورة علماً. (مثل بعض مراكز البحوث، وأحيانًا الجامعات).

فعلُ العلم:

ما الذى جعلنى أربط "الفعل" "بالعلم" هكذا كما ورد
حالا مما يحتاج إلى توضيح

فعل العلم - فى رأي - هو نشاط إنسانى كلى يتميز أساسا
بغلبة نوع من التفكير يتصف بالتسلسل المنظم من الملاحظة إلى
الفرض إلى التحقيق إلى المراجعة إلى التنفيذ إلى فرص التوسيع
إلى إعادة صياغة الفرض (الفروض) وهكذا، باستمرار، هو
أقرب إلى ما يسمى "التفكير العلمى"، وقد قصدت استعمال
كلمة "فعل" هنا قصدا، حتى أنفى أنها عملية نظرية معلنة
فقط.

حين يصبح العلم نفسه "فعلا" قائما بذاته، وليس فقط
وسيلة إلى فعل يستعمل نأجه، يصبح إسهاما فى إبداع جديد
لوعى يتخلق.

علاقتنا بكلمة "العلم" وموقعنا منها:

لكل منا موقع وموقف من كلمة العلم حين يستعملها أو
يسمع عنها أو ينتمى إليها، وفيما يلى بعض ذلك:

1- **مُنْتَجُ العلم:** هو الشخص الذى يارس فعل العلم بمنهج
(أو مناهج) محددة، وبدرجة ما من التخصص، بحيث يكون
نتاج هذه الممارسة إضافة منظمة، لعدد من المعلوات
والمعارف تتصف بدرجة من العمومية والتماسك وقد تعد
بفائدة تطبيقية.

2- **مستهلك العلم:** هو المتلقى الذى يستعمل معطيات
العلم وإنجازاته فى تسهيل حياته اليومية، وكذلك فى
تطوير ذاته ومجتمعه، يحدث هذا إما بإرادته الشخصية
المعلنة، أو من خلال أنه يندرج فى مجتمع منظم يسمح وينظم
هذا النوع من الاستهلاك والاستيعاب، بطريقة تلقائية
راتية.

3- **حامل العلم:** وأعنى به المحافظ على المعلومات الناتجة
من فعل العلم وإنتاجيته، وهو ليس بالضرورة شخصا، إذ
يمكن أن يكون كتابا أو منسوخا أو شريطا أو قرصا أو
مكتبة أو وثيقة، أو موقعا إلكترونيا أو راويا أو
مؤرخا شفاهايا.

4- **ناقل العلم (موصل العلم):** وهو الذى يقوم بتوصيل
معطيات وإنجازات العلم من المنتج إلى المستهلك (بالمعنى
الإيجابية السابقة أو حتى بالمعنى السلبية اللاحقة)، ويشمل
ذلك الناقل الإنسانى (المعلم)، والناقل الأحدث بكل أنواع
إنجازات التكنولوجيا المتاحة لوسائل التوصيل المعاصرة.

[ملحوظة: ما سبق من تنويعات لايبنى بأية حال من الأحوال
تعريفات، وإنما هى تحديد غلبة دور بذاته، إذ أن أيا مما
سبق يمكن أن يتصف بأكثر من صفة أخرى فى نفس الوقت]

الأوجه السلبية التى تتعلق بكلمة "العلم" (= ضد العلم)

فوقية، ومستهلك تابع في الناحية الدونية، رغم أن الجميع يتصورون أنهم يعيشون تحت مظلة ما يسمى حياة عصرية علمية.

8- تزييف العلم: العلم الزائف Pseudoscience : هو النشاط الذي يأخذ شكل العلم، وظاهر منهجه، دون أن يلتزم بموضوعية معناه وغائته وحركيته وإضافاته ومرونته

وقد انتشر هذا النشاط مؤخراً حين تمادت الشركات العملاقة العابرة (الدواء والسلاح والبترو..الخ) في استعمال العلماء الذين يسمون مؤخرًا "بروليتاريا العصر الحديث"، حيث يستعمل العلماء لتحقيق أغراض لم يحاطوا بحقيقة أبعادها: مثل تخليق غرائز استهلاكية جديدة لصالح تكديس السلطة والأموال في أيدي من لا ينفع البشر ولا طورهم.

لفظ "العلم" من المعاجم وما يمكن أن يتضمنه

أحترم المعاجم احتراماً شديداً، لكنني أتجول فيها مختاراً، وأبدأ منها، ولا أتوقف عندها، وأحاول أن استلمهم من محاولتهم لتقديم تعريف جامع مانع ما يسمح لي بمتابعة تشكلات الكلمة تاريخياً وحاضراً.

أولاً: من المعاجم الإنجليزية

1- العلم هو حالة أو حقيقة "أن نعرف" ويشمل هذا التعريف أن العلم هنا هو ما يقابل فعل المعرفة، أو حالة كوننا عارفين، وهذا يتضمن المعاشة والاستيعاب، قبل وبعد تنظير المعلومات وتنظيمها.

2- العلم هو المعلومات التي نتحصل عليها من خلال الاستيعاب أو التعرف أو التمكن من أي مجال من مجالات التعلّم. ويشمل هذا التعريف درجة من تعميم وسائل التعرف بالإضافة إلى التمكن، لكن يكاد يحدد هذا التعريف أن يكون هذا النشاط في إطار التعلّم، وما لم يتسع معنى التعليم والتعلّم ليشمل تغيير التركيب فإن التعريف يصبح قاصراً، ورغم أن هذا التعريف لا يؤكد على التخطيط الهادف في هذه العملية، إلا أن السياق يوحى بذلك، ليس من جهة الفرد فقط وإنما بصفة عامة.

3- العلم هو منظومة شاملة من الأحكام والرؤى العامة، وذلك من خلال إثباتات منهجية.

هذا مدخل يوسع مفهوم العلم بدرجة كافية لكنه لا يحدد منهجاً بذاته، وهو لا يقصر بعض المعارف دون غيرها على ما هو علم، وتضمن الرؤى هنا فيما هو علم، وكذلك عدم تحديد نوع خاص من المناهج، لابد وأن يوسع دائرة ما هو علم بشكل أو بآخر.

4- العلم هو نوع من المعارف أو النشاط الذهني الذي تتبدى فيه العلوم .

فالعالم الفلاني هو مجرد مظهر نوعي لنشاط معرفي ذهني أشمل، إحدى تجلياته تظهر في صورة هذا العلم أو ذاك.

معان أحدث أضيقت (معاجم إنجليزية أيضا)

المعاني الأحدث للعلم جعلت "ما هو علم : أكثر حبكة، وأوضح تنظيرا وإن كان أضيقت إحاطة مثل:

(أ) العلم هو فرع من الدراسة يصف منظومة متماسكة من الحقائق المبنية أو الملاحظات المرصودة أو الحقائق الملحوظة المنسقة والمصنفة حتى يمكن أن تندرج في قانون شامل يمكن أن يمددها بقواعد عامة بما يشمل تحديد مناهج تعتمد عليها لاكتشاف حقائق جديدة داخل ذات المجال.

(ب) العلم هو النشاط الذهني المهتم بالحقائق النظرية في مقابل الفن الذي تنصرف أحكامه إلى إحداث تأثير بذاته.

(ج) العلم هو النشاط المقنن الذي يدرس العالم الطبيعي وقوانينه، مما يتطلب في النهاية استبعاد كل من الرياضيات والنشاط الكهنوتي واللاهوتي والديني.

نلاحظ هنا كيف أن التعريفات الأحدث ضاقت بالقياس بما سبق، كما أنها اهتمت بأن تكون "مانعة" أكثر منها "جامعة" مثل الإشارة إلى استبعاد "الفن" و"الرياضة" و"الدين" (لاحظ كيف أن الرياضة ليست علما).

ثانيا: من الأصول والمعاجم العربية

بالنسبة لاستلهام اللغة العربية نجد أن الأمر أكثر فضفضة، وإن كان أبعث على الحركة والمغامرة بتوسيع المفهوم، فبعض المعاني التي شدتني وصفت العلم بأنه:

- 1- يعني الشهادة والمعرفة والكشف والحدس معا.
- 2- يشمل نوعا من العلم يأتي من مباشرة التعرى أمام كون أقدرا.
- 3- يؤكد جانب الممارسة فيما جاء من إضافة المهارة والتدريب كوسيلة لاكتساب العلم "... بالمزاولة وطول الدراية حتى يصبح غريزة".

(وهكذا فرقت هذا التعريف بين المتعلم والعالم "فالأول يحصل على المعارف، ولا تصبح جزءا من كيانه، والثاني يخرج بغريزة التعلم ربما الأقرب إلى ما أسميناه: "فعل العلم")

العلم في اللغة الدينية:

يحلوا كثير من الناس، خاصة المهتزة عقيدتهم، أن يلتقطوا كلمة "علم" كما وردت في نصوص مقدسة، أو التي تكاد تكون كذلك، ويعممونها دون فحص أو مراجعة على مفهوم العلم بشتى تنويعاته وكأنهم بذلك يدعمون الدين ويبررونه ويسوقونه، يحدث ذلك بوجه خاص في التفسيرات السطحية والمتعسفة لكلمة "علم" كلما وردت في نص ديني.

إن المراجعة الشجاعة والمتأنية لهذه المسألة لابد أن تكتشف أن ما ورد في القرآن الكريم والأحاديث النبوية من استعمال هذه الكلمة "علم" ليس له علاقة باستعمالها في عصرنا هذا، وبالتالي يجدر بنا أن نحترم تراثنا بشكل أفضل.

كلمة العلم قد وردت في النصوص الدينية والشرعية بضمون أبعد مما يكون عن المفهوم "الجامع المانع" الذي يحدد معناها المعاصر، وأيضا أبعد عادة عن المعنى المراد إبلاغه للعامّة من خلال المنظومة العلمية الأحدث.

كيف وردت كلمة العلم في لغة التصوف

حضور كلمة علم في اللغة العربية في مجال التصوف كان مختلفا، ولا يحسب أحد أن لغة التصوف هي لغة خاصة نادرة، ذلك أن العامة (في مصر خاصة) - كثيرا ما تتلقى وتستعمل الكلمات وهي تحمل مضمون لغة الصوفية، أكثر مما تحمل مضمون اللغة التقليدية .

وفي حين لا تظهر كلمة "العلم" هكذا في معجم ابن عربي - مثلا- نجد أن النفرى قد أحاط بها من جوانب كثيرة، في مواقف متعددة، وفيما يلي بعض مواقف النفرى التي استعمل فيها كلمة "العلم"

من مواقف النفرى

سوف أكتفى بالبداية بالإشارة إلى مقتطفين من النفرى: **الأول:** يجعل العلم دابة من الدواب في الطريق إلى المعرفة، **والثاني:** ينبه إلى الفرق بين "جريان العلم" و"عين العلم" وألسنة العلوم"، وأعتقد أن هذا التمييز يتعلق بموقف الإعلام من ناحية ("جريان العلم")، والتحذير من الإكتفاء بتسميع العلم والرطانة بلغته من ناحية أخرى (ألسنة العلم)، ثم التنبيه إلى ضرورة الغوص إلى فعل العلم وجوهر المعرفة من ناحية ثالثة (عين العلم).

(أ) إذا عرفت معرفة المعارف جعلت العلم دابة من دوابك.

(أنظر كيف حدد العلم كوسيلة بين وسائل أخرى إلى معرفة أمثل، ربما تكون هي عمق الثقافة في لغتنا المعاصرة)

(ب) من اغترف العلم من جريان العلم، لا من عين العلم، نقلته ألسنة العلوم وميلته تراجم العبارات،

فلم يظهر بعلم مستقر، ومن لم يظفر بعلم مستقر لم يظفر بحكم .

(لاحظ: أن الاستقرار غير السكون والثبات)

هذا، وقد حاولت فيما حاولت أن أقرأ - استلهاما موازيا - بعض مواقف النفرى (بومئة 2008-1-28 "النفرى والشعور بالذنب") بما قد يقربنا من كشف معين في هذه المسألة

وفيما يلي بعد ذلك دون تعديل: "مواقف النفرى بين التفسير والاستلهام"

أولاً:

وقال لى :

من لم يقف: رَأَى المعلومَ ولم ير العلم،
فاحتجَب باليقظة كما يحتجِبُ بالغفلة
موقف الوقفة (ص12)

القراءة الاستلهام:

خلطوا بين العلم والمعلوم،

العلم جوهرٌ، والمعلوم ظاهرٌ محتمل.

قالوا إن العالم هو مَنْ علم المعلومة أو عَمَّها.

وتَعَلَّمنا أن العالم هو حضورٌ ممتلئ بذاته.

العالمُ يتعلم المعلومات، يفرز المعلومات، ولا تحده المعلومات.

نَدَعى اليقظة فيحتمد الانتباه فيختفى باقينا وراء ألعية الغباء.

نَدَعى الغفلة حتى نطلب الرحمة، فنتخبط في العمى ونظم أنفسنا.

عَلِمَ العلماء توقف عند عِلْم العلماء.

الواقف خاشعا يستعمل علمهم من الظاهر،

لا يَصَلح به في ذاته، إلا أن يكون طريقا إليك.

لا هو يرفضه ولا هو يعبده.

في رحابك يضع علمه حيث تضعه منه.

العلماء أدواتك إليك، لا هُمُ بديلا عنك، ولا هم إثباتا لك.

هم يصلحون بعلمهم إذا ركبوه ولم يركبهم،

إذا ذكروه ولم ينسهم أنفسهم .

هم نسوك فنسيئتهم رحمةً بهم،

وحين يذكرونك سيضعون علمهم ومعلوماتهم حيث تقرَّبهم منك،

وليس حيث يثبتونك بها.

غَرَّهم بعلمهم الغرور، مع أن العلماء أولى بك من غيرهم.

امتحاهم أصعب، ويقىنى أن عدلك لن يتخلى عنهم.

بفضلك لم أتركهم، ولم أتبعهم، ولم أعلنهم أين أقف بين يديك إليك،

لا أخاف، ولا أنسحب، ولا أرفض.

اليقظة زادت إلى ما بعدها من غيبك المدهش الخافز للكشف،

والغفلة سحاكٌ لأجمع نفسى حتى أحتمل مواصلة السعى إليك.

لا تحجبني عنك لو غرَّتى يقظتى عن خيبتى الرائعة،

ولا تطمس وعيى لو طالت غفلتى.

ثانياً:

وقال لى:

الوقفة روح المعرفة

والمعرفة روح العلم

والعلم روح الحياة.

وقال لى:

كل واقف عارف،

وما كل عارف واقف

موقف الوقفة (ص12)

لكل كيان روح، ليست نقيض جسده، ولا هى منسلخة عنه.

هى جُماغه فى امتداده إلى ما بعده .

خاف العلماء على علمهم من المعرفة، فأصبح علما بلا روح.

سلبت روحه فما جدواه؟

وخاف العارفون على معارفهم من الوقفة فأصبحت معرفة

بلا روح، سلبت روحها، فماذا تبقى منها؟

وخاف الواقف على وقفته فى رحابك يريد وجهك،

خاف من دُخلاء الادعاء،

فاحتفظ بروح وقفته وهو يبحث عن أجدية لها فى المعارف
والمعلومات .

راح يحاول أن يحتوى العلم والمعرفة دون أن يتخلى عن وقفته.

ماذا أقول لهم مولاي العدل الصمد؟

إن الوقفة غير التوقف. فما أدرهم بالوقفة فى رحابك؟

عذرئهم دهرا .

بُعدهم عنك لم يسمح لهم أن يميزوا بين الوقفة والتوقف.

خاف العلماء أكثر فأكثر على علمهم من أدياء

المعرفة، فتجنبوا المعارف إلا ما عرفوا بأدواتهم المقدسة حتى
التصلب.

تجنبوا حتى معارف العارفين.

وخاف العارفون على معارفهم من أدياء الوقفة،

فاستغنوا عن الوقفة .

وخاف الواقفون من سفاهة السفهاء فى كل المواقع، فلاذوا

بالصمت،

طمعا فى رحمتك بنا، وبهم .

لا أعرف حلاً فى المدى القريب.

الواقف الذى لا يرى سواك: يرى المعرفة والمعارف، كما

يرى العلم المعلومات، تأتيه من خلال وقفته ليراك. (وهل يمكن
أن تكون إلا كذلك؟)

حين ينتظم العلم والمعلوم، والمعرفة والمعروف لتكون هي هي منك إليك،

يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار .

تهدي سبحانك لنورك من تشاء،، شرط أن يطلب الهداية .

إذا اكتفى العلماء والعارفون بعلمهم ومعارفهم، عموا وصموا، فأنكروا وضلوا. حتى لو جاء ذكرك على لسانهم أيام العطلات، وقبل النوم،

وأثناء أداء العمرة تلو العمرة .

ثالثا:

وقال لي:

اطّلع في العلم فإن لم تر المعرفة فاحذره،

واطّلع في المعرفة فإن لم تر العلم فاحذرها

موقف المطلع (ص32)

العلم حق، والمعرفة حق، والوقفة حق .

وأحق الحق هو ترتيب الحق في موضعه منك، ومن الحق الآخر، فالحق الآخر، وهكذا: ليصب الجميع في الحق الأكبر.

حذرتُ نفسي-بفضلك من ترك العلم بحجة عمى العلماء،

مع أن كثيرا من أدواتهم هي من بنات عمومة اللات والغزي.

حاولتُ ألا أفصل المعرفة عن العلم أو العلم عن المعرفة،

ولو اختلفت الأدوات، فلم أنجح إلا قليلا.

عدت أبحث عن المقياس، فلم أجد ما يعينني جاهزا .

قلت: تتوازي السبل لتكتمل بعضها بعضا،

وإذا بالخطوط المتوازية لا تلتقى أبدا .

رحت أنظر في محاولات غيري فوجدتهم يتجهون المنظومات إلى بعضها البعض، فلحقت الكوارث بالأصل والترجمة على الجانبين ذاهبا وإيابا .

خاب تفسير العلم للمعارف، وتشوهت المعارف برطان أمجدية

العلم، وتفرقنا خدوعين بالخلط، أو متبارين بالزيف على

الجانبين. فبعد الجميع عنك إلا من خيالات نسجوها بدلا منك،

كما بعدوا عن العلم إلا من مُعلقات مُحنطات.

آلات الجشع تبرق وكأنها نور بديل، فلا تضيئ إلا ما لا حاجة

لنا إليه .

بعدوا عن المعرفة إلا من شطح كاليقين.

استعلوا على الغيب خوفا من الخرافة، فطمسوا الطريق

للكدح كدحا .

هم لم يقتربوا أصلا من الوقفة بين يديك،

ولو فعلوا لتبينوا أنك في كل ذلك غير ذلك.

أمرك، سبحانك.

تأمرني أن أطلع في العلم، بحثا عن المعرفة، فهل يسمح أهل العلم؟

وأن أطلع على المعرفة بحثا عن العلم، فهل يسمح أهل المعرفة؟

ولماذا أنتظر سماحهم وأنا في موقف الأمر؟

أنت تحذرنى ثقة بي، فأنا أهل لذلك، هذا هو.

رحمتك ورؤيتك تفتح لي آفاق كل شيء، فلا أرفض.

مسئول أنا أن أوضح، لا أن أترجم .

أن أقول، لا أن أعيد.

أن أفعل، لا أن أثبت.

أن أستكشف، لا أن أحكم.

أبحث عنك فأجدك في كل صغيرة وكبيرة.

آه لو يحظر على بالهم أن كله منك، وإليك، وأنت تتجلى في كل شيء :

في كل علم، في كل معرفة، في كل حرف، في كل قولية، في كل إثبات، في كل ضد، في كل أصل، في كل فرع :

إذن لأراحوا أنفسهم وكفوا عن تشويهك بالأدلة، وبالتأويل، و بالتبرير، وبالتزوير، وبالتسريح، وبالاستغفال، وبالصور، وبالتصوير، وبالاختزال، وبالتسويق، وبالرشوة.

إذا استمر الأمر هكذا فلسنا أهلا للتوجه إليك،

إلا أن تغفر لنا، وتتوب علينا.

وبعد

لا مجال لتفصيل ماذا يمكن أن تستلهم مناهج العلم الحديث من كل هذا العمق عند النفري خاصة، وهو يجدد - مثلا - أنواع المعرفة، والعلم، والمواقف وغيرها، لكن إهمال هذا الثراء أو إنكاره، والاكتفاء بالجاهز المصمت من مناهج مختزلة، إنما يؤدي إلى خنق لفظ العلم داخل قوالب تحول دون حركته وتطوره، وهذا هو من أهم ما يجرمنا من استلهم تراثنا بغير وجه حق.

وبعد

ليست المسألة مباراة خائبة بين منهج ومنهج، ولا هي مباراة فخر وهجاء بين أسلوب وأسلوب، وإنما هي دعوى إلى الاستماع لكل الأصوات بالسماح اللازم، والخذر الواجب، فالإنسان بتاريخه الخيوي الرائع، أحوج ما يكون إلى كل مستوياته تنشط وتتضرر وتتجادل، لينطلق إلى ما يعُدُّ به من كل صوب وحذب نحو ما يمكن أن يكونه، "ليصير" أبداً.

- قمت بالترجمة شخصيا

172- لعبة الـ "الأسوياء": الجزء الأول

نشرنا أول أمس لعبتان حول "إشكالة الـذل"، وكيف تناولناها في جلسة من جلسات العلاج الجمعي، كما نشرنا نصّ العشر لعبات التي لعبها أسوياء متطوعين في برنامج سرّ اللعبة قناة النيل الثقافية. هذه النشرة اليوم هي عرض موجز لنصف هذه الحلقة، (الخمس لعبات الأولى) التي يمكن رؤيتها كاملة بالصوت والصورة في الموقع.

المتابع للعبات التي قدمناها في يوميات سابقة مثل **14-1-2008** ، أو **20-10-2007** يعرف أن فكرة اللعبة أنها تقدم عبارات ناقصة يكملها المتطوع أثناء تسجيل الحلقة، كما يمكن للقارئ أو الزائر أن يجيب عنها (كتابة إذا شاء)، يكملها كيفما اتفق بأسرع ما يستطع، وبأقل قدر من التفكير، ثم نرى:

هذه اللعبة كما سرى الزائر/ القارئ/ المشارك، تعزى منطقة شديدة الحساسية في الوجود البشري، وبالذات هي تناول مدى رفضنا الظاهر لما يسمى الـذل، وفي نفس الوقت: مدى اضطرابنا إليه، والأصعب: مدى مشاركتنا فيه بما يتعلق بإذلال بأنفسنا، وأخيرا احتمال قيامنا بإحداثه تجاه غيرنا دون أن ندرى، وغير ذلك.

طريقة وضع الألعاب كلها في هذا البرنامج، وقد ناهز الخمسين حلقة، لم يُقصد منها أي موقف إرشادي أو نصّاحي، كان الهدف أو الأمل - وما زال- مجرد طرح أسلوب مختلف لتحريك الوعي، في محاولة الكشف للتعرف على بعض جوانب من تركيب النفس البشرية، لا نتحمل تعريتها بشكل مباشر.

اكتشفتُ وأنا أراجع ترتيب العشر لعبات في كثير من الألعاب، ومع أنني الذي صنفتها بشكل عفوي، أحيانا قبيل تسجيل البرنامج بنصف ساعة، اكتشفت أن الألعاب تترجح من أقصاها إلى أقصاها، وأنها في أحيان ليست قليلة تنتهي بمحاولة تهدئة ما تحرك من الوعي لتجنب أي قدر من المضاعفات، سواء للمشاركين أو للمشاهدين.

الحقيقة صعبة،

والطبيعة البشرية غامضة، والمحاولات مستمرة،

لكن الهرب من الإقدام على كشف المزيد ليس هو الحل.

وصلني وأنا أعد لنشر هذه اللعبة الآن مداخلة طويلة، من زائرة فاضلة أكدت مخاوفي من وصول رسالة ملتبسة من خلال هذه المحاولات، وهذا ما سبق لي معاناته أثناء بث البرنامج، وقد عدت وأواجهه مع إعادة العرض كتابةً ومناقشةً هنا في النشرة اليومية. الصدمة تأتي حين نكتشف تعرية ما تبدو لنا قيما مقدسة، أو حين نقب في الطبيعة البشرية التي تتمثل فينا لا محالة، فنفاجأ بما لا نرجو لها أو منها، هي محاولة استكشاف لبعض ما وصل الإنسان إليه سلبيًا وإيجابيًا دون تمييز، آمليين أن نتجاوز السلي لنعمق الإيجابي حتى نستطيع أن نحتوى التناقض جدلاً خلافاً إلى ما لا نعرف .

علينا أن نتحمل مسؤولية ضعفنا لننتقد منه وننتصر به، ولنفخر بقدرتنا على استيعابه والبدء منه، إن عدم تحمل التناقض والإصرار على موقف الصراع التنازعي الاستقطابي كحلٍ وحيد يؤجل تخليق الخطوة التالية من جدل التناقض، وقد يرسخ الاستقطاب الذي يعيد الأمور بما هي كما هي، بعد كل جولة، حتى لو انتصر الجانب الخيّر الذي ندعمه بما هو كما هو، فهو انتمار جولة واحدة لا أكثر.

لاشي يترك النمو مثل أن يكون المنتصر مهزوماً فيكون المهزوم منتصراً، وهما يخلقان منهما ما يمكن ما استمر الجدل أبداً.

كدت أعدل عن نشر هذه اللعبة كما جرت بتلقائية مع أسوياء هذه المرة، احتراماً للتحذير الذي وصلني من هذه "المدخلة الصادقة" المخدرة من احتمال ترسيخ قيمة سلبية هي "الدعوة لقبول الذل"، لقد أسرعتُ صاحبة المدخلة (التي قد نشرها لاحقاً بعد أن تصل صاحبيتها وجهة النظر كاملة) بالتعليق الأمين بمجرد قراءة الجزء الأول الذي انتهى بذكر نص الألعاب العشرة دون نشر الاستجابات، والمناقشة مع الأسوياء .

وأنا أراجع استجابات الأسوياء وهم **يدهشون، ويتألون، ويتزاجعون، ويهربون، ويعودون**، قلت: ربما عليّ أن أخشى فعلاً أنني بنشر هذه التجربة بهذا التكتيف أخشى أن أكرس السلبيات دون قصد! لكنني عدت فوجدت أنني لو حجبت الإستجابات احترازاً لاحتمال أن ترسخ ثقافة سلبية - كما تقول الكاتبة- فإنني أخون الأمانة، صحيح أنا مسئول عن وضع نص الألعاب بما يستدرج المستجيب إلى البحث فيما لا يريد البحث فيه، وما يود لو يعيش ويموت دون أن يكتشف حقيقته أو يعرف تحديد دوره فيما يلحق به، مفضلاً أن يكرس جهده لصراع واجب ضد ما يتعرض له من ظلم وقهر.

أتصور أن البدء من الموجود ليس تمييزاً للموقف ولا تكريماً للظلم بقدر ما هو تخطيط لنفس طويلٍ يستعمل الوعي

الذى تميز به البشر لتكريس المواجهة الضرورية لداخله وخارجه على طول مساره الممتد فرداً فجماعةً فنوعاً.

هذا، وقد أجلت الرد على الرسالة الفاضلة حتى تطمأن على باقى الحلقات، وربما تضيف إلى مداخلتها ما يستدعى مزيداً من النقد والتحذير، أو ربما يصلها ما قصدنا إليه من التأكيد على ضرورة المواجهة من حيث حتم البدء **بالمؤلم المتاح**، يخيل لى أن علينا أن نتفق في البداية حول:

كيف ومن أين نبدأ، في أكثر من موقع بأكثر من أداة؟

وكيف نحدد نوع الممارك ومداهما، وغموضها، لا تُفرض علينا، ولا نكررها بما هي؟

وكيف نعرف حقيقة أعدائنا وقوتهم في الداخل والخارج على حدٍ سواء

وكيف لايهينا التركيز على خبث وجبروت الأعداء عن مقاومتنا ضعف أنفسنا في الداخل والخارج.

* * *

الآن ننقل إلى عرض الاستجابات ومناقشتها:

مثال توضيحي

أهم حاجة عندي أنى أحافظ على كرامتى بس ساعات

ونكمل أى كلام ، أذى اللعبة.

أنا حاجوب على المثل ده مش حانلعبه

أهم حاجة عندي أنى أحافظ على كرامتى بس ساعات مايقدرش

ضيوفنا اليوم هم:

أ. عماد فتحى

أ. محمد إسماعيل

د. باهر

د. تامر فريد

بالإضافة إلى المعد ومدير الحلقة د. يحيى

اللعبة الأولى: أنا مستحيل أذل نفسى حتى لو

أ.محمد أسماعيل: يا دكتور باهر أنا مستحيل أذل نفسى حتى لو أتوجع

د.باهر: يا دكتور يحيى أنا مستحيل أذل نفسى حتى لو الناس اهتمت بالغاوة

د.يحيى: يا دكتور تامر أنا مستحيل أذل نفسى حتى لو جُعت

د.تامر: يا عماد أنا مستحيل أذل نفسى حتى لو حاذل كل الناس

أ.عماد: عزيزى المشاهد أنا مستحيل أذل نفسى حتى لو كنت حاموت

المناقشة

جاء في المناقشة التي نسمح بها بعد كل لعبة مباشرة إعلان دهشة عماد لما قاله، فهو لم يتبين ما الذي تحرك فيه، قال عماد: "أنا يا دكتور جيبي تخضيت، وبالذات ساعة ما بدأت أقول، حسيت إن فيه حاجة جوايا اتحركت بس مش عارف إيه بالضبط"

أما د. تامر فقد جعلته اللعبة يراجع نفسه بعد أن كان قبّلها يتصور أنه يمكن أن يتنازل، لكن هذه المراجعة التي جعلته يرى الصعوبة، حركت دفاعا خطيرا ضد هذا الاحتمال (أن يذل نفسه)، فنلاحظ أنه دافع عن هذا الاحتمال بإطلاق موقف مضاد باستعداده لإذلال الناس، كل الناس، ليحمي نفسه من احتمال الذل، الأمر الذي يطرح احتمالا عن أن من يقبل أن يذل الناس ولو مدافعا، ربما يكون هو هو الذي يمكن أن يذل نفسه، واكتشاف مثل هذا الأمر جدير بأن يبدأ المرء بالنظر في موقفه شخصيا بالنسبة لمسألة إذلال الناس، (وهو أحدهم، أنظر أيضا فرضاً متعلقاً بهذه النقطة قرب نهاية النشرة).

ومع أن باهر قرر رفض قبول الذل حتى في مواجهة ما بدا أنه غباء اجتماعي: الناس اهتمني بالغباوة إلا أنه في تعليقه أعلن أن اللعبة كشفت له احتمال أنه يمارس نوعا من التسليم دون أن يدري، يقول: "أنا ما كنتش عارف قبل كده، اكتشفت فجأة إن أنا فعلا باتذل، مع إني باقول أنا مستحيل أقبل الذل، لكن اكتشفت إن ده بيحصل فعلاً".

إن هذا الاكتشاف ليس دعوة للتسليم بما نكتشفه بقدر ما هو انتصار في جولة بذنية، لتصبح المواجهة مع الذل الخارجي أقوى وأكثر صلابة، بعد أن نكون قد حَجَمنا العامل السلبي داخل أنفسنا الذي قد يساهم في العملية دون أن ندري.

اللعبة الثانية: أنا خايف الظروف تخليني أذل نفسي بعد كده يمكن.....

أ.عماد: يا أستاذ محمد أنا خايف الظروف تخليني أذل نفسي بعد كده يمكن أفضل على طول منقول

أ.محمد: يا دكتور جيبي أنا خايف الظروف تخليني أذل نفسي بعد كده يمكن أرضى بالذل ده

د.جيبي: يا دكتور باهر أنا خايف الظروف تخليني أذل نفسي بعد كده يمكن أستعبط وما اشوفشى امتي باذل نفسي وأمتي لأ

د.باهر: يا دكتور تامر أنا خايف الظروف تخليني أذل نفسي بعد كده يمكن الذل يبقى جزء مني

د.تامر: عزيزي المشاهد أنا خايف الظروف تخليني أذل نفسي بعد كده يمكن ما أقبلش نفسي

المناقشة

نلاحظ أن الخوف من ذل النفس (أن أذل نفسي) بصفة عامة، ليس كافياً لدرئته، وأنه إذا حدث لسبب أو لآخر، فإنه يمكن أنه يكسر شيئاً غالباً جداً في النفس، يسمح بعد ذلك بالتنازل إما تحت ستار التعود "استعبط ولو لاشعورياً" أو التسليم الدائم "أفضل على طول مذلول"، أو الرضا "أرضى بالذل ده"، أو "التغير الجذري" "الذل يبقى جزء مني"، أما د.تامر فسنعود إليه مستقلاً.

تعقيب أ.محمد في المناقشة أظهر كيف أن خوفه شديد جداً، وأنه "أنا إذا اتذليت مرة ما ينفعش أقف ثاني"، كان ذلك بعد أن أعلن اكتشافه أنه "خائف من الذل قوى"، ثم أضاف: "أنا خائف من الخوف نفسه بتاع الذل مش بس من الذل نفسه، خائف أطلع الخوف، خائف أشوف أن أنا ممكن أتذل".

هل كشف مثل هذا الرعب المشروع هو دافع إلى اكتساب الصلابة بديلاً عن هذه الهشاشة، أم أن مثل هذا الاعتراف يزيد الضعف ضعفاً؟ الأرجح لدينا أن الألم الذي أبداه محمد من هذا الاكتشاف هو الذي قد يجعله في المستقبل القريب أو البعيد ربما يقول: أنا لو اتذليت ألف مرة، مش حاسم باي أتذل في الألف وواحد، إن هذه المواجهة مهما كانت مؤلمة هي بداية التغير بشكل أو بآخر.

.....

أ.عماد أعلن في المناقشة أنه رعب لإحساسه بالاستسلام للذل "وأنا باقول الجملة دي حسيت أن أنا مستسلم قوى، مش عارف ليه". هذا الاكتشاف أيضاً لم يكن بهذا الوضوح عند عماد قبل اللعبة، فإذا ما اتضح هكذا، فهو إسهام في مساعدته للمواجهة، وليس تسهيلاً لتكريس الاستسلام، وحكاية "مش عارف ليه" هي أيضاً مهمة لأن بدء الطريق إلى المعرفة هو الاعتراف بعدم وجودها، بدلاً من أن نساهم في إذلال أنفسنا من وراء ظهورنا، وكأن الإظلام هو الأصل.

أما د.يحيى، فقد انتبه إلى احتمال أن يترتب على ما حركته هذه اللعبة أن يلجأ إلى ميكانزمات عامية أكثر تحفى عنه ماهية الذل وتسحبه فلا يكتشفه في الوقت المناسب، ومع أننى هو هذا الدكتور يحيى وليس من حقى أن أزيد أو أشرح ما قلت إلا أننى سوف أعامل نفسي كأحدهم، فاكتشاف أنه يمكن أن "يستعبط" يجعل الأمر أقرب إلى الوعي فهو يزيد مسئوليتته من ناحية، وقد يسمح له بضبط الجرعة أو امتلاك ناصية التوقيت من ناحية أخرى، ربما!!

يبدو أنه لا أحد مصون صيانة مطلقة ضد هذا الاحتمال "أن يذل نفسه" حسب جرعة الظروف، وتنوع الشبل للتحايل وإنكار ذلك موجود بلا حدود: من أول إنكار هذا الاحتمال أصلاً، حتى التسليم له اضياراً مروراً بالتعلم اختراقاً للخوف، أو معاناة الألم فالتدريب على حسن التوقيت، واختيار أرض المعركة، واكتساب النفس الطويل، كل هذه احتمالات واردة كما نلاحظ.

كانت هذه اللعبة شديدة الوطأة على المشاركين، وربما على المشاهدين حتى عقب عليها د. يحيى قائلا بالنص:

هو البرنامج ده بيععمل إيه؟ بيهز ويفوق ولا إيه؟

كل الناس، واحنا منهم، بيتصوروا إن ولا واحد يبذل نفسه ولا بتعريفه، وإن هو مناخيره في السما طول الوقت، وأنه هو مستحيل كذا وكذا، مجرد لعبنا لعبتين الدنيا تحركت، بتقربنا من واقع مؤلم، بس مش معنى مؤلم أن فيه استسلام، فأنا بس بقول يعنى يسمح لنا المشاهد أن هو يستحملنا شوية، لأن الطبيعة البشرية احترامها مافيهوش قيم أخلاقية مطلقة أو مسبقة، نبدأ باحترام الموجود، وندفع ثمن الرؤية ونخرم الظروف، عشان نقدر نواجهها مجمها ونقاومها ونغيرها.

اللعبة الثالثة: أنا لو كنت رضيت من زمان أذل نفسى
كنت.....

أ.محمد: يا دكتور تامر أنا لو كنت رضيت من زمان أذل نفسى كنت عشت ميت

د.تامر: يا دكتور يحيى أنا لو كنت رضيت من زمان أذل نفسى كنت بقيت إنسان تانى ماحبش أكونه

د.يحيى: يا عماد أنا لو كنت رضيت من زمان أذل نفسى.... كنت أهيت حياتى

أ.عماد: يا دكتور باهر أنا لو كنت رضيت من زمان أذل نفسى.... كنت دلوقتى ما كنتش موجود

د.باهر: عزيزى المشاهد أنا لو كنت رضيت من زمان أذل نفسى.... كنت زمانى دلوقتى في نظر الناس أحسن 100 مرة

المناقشة

فيما عدا د.تامر، بلغت مقاومة هذا الاحتمال (رضيت أذل نفسى) صامدة صمودا هائلا امام التسليم الخفى الذى أظهره التعرى في اللعبة السابقة (الثانية) وقد ظهر هنا كيف أن الرضا بإذلال النفس، ولفترة (من زمان) يلقي المسئولية أكثر على صاحب الشأن، وأن ذلك يستأهل الاختفاء، أو الموت: "كنت عشت" ميت، ..كنت "أهيت حياتى"، .. "كنت دلوقتى مش موجود" وأيضا مكافئ لتغير ربما ليس أقل من الموت "كنت بقيت إنسان تانى ما احبش أكونه"

أما د.باهر فكان واقعا بشكل صعب، واحتدت بصيرته وهو يتبين الثمن المحتمل أن يقبضه مقابل رضاه بإذلال نفسه، وأن ذلك قد يرفعه في نظر الناس 100 مرة، لكن ليس معنى ذلك أن هذا هو ما يريده أو يرضاه، وإن كان لم ينف ذلك. هذا ما لاحظته حمد الذى قال أثناء المناقشة: "أنا شفت إن د. باهر شايف إن الذل بيطلع، أنا شايف ان الذل ينزل لدرجة إنى ربطته بالموت".

د. باهر: عزيزي المشاهد هوا فيه حد يقدر يعيش من غير ما يضطر يذل نفسه لكن بقى دا مش معناه إن احنا نفتح للذل على البحرى

المناقشة

يبدوا أن هذه اللعبة خفت جرعة كل من استحالة أن أقبيل الذل "أنا مستحيل أذل نفسى" (اللعبة الأولى)، مقابل التلويح بالاستسلام لضغط الظروف "خايف الظروف تخلىنى أذل نفسى" (اللعبة الثانية) ثم احتمال الرضا بالذل وما ووجه به من رفض هماعى، فى اللعبة الثالثة، "أنا لو كنت رضىت من زمان، أذل نفسى" يبدو أنه لاحت فرصة فى هذه اللعبة الرابعة لمزيد من الوعى بالواقع بحجمه بعد كشف دور الداخل والخارج فى حركية الذل، وابتدأت المسألة تأخذ شكل ضبط الجرعة: "هو وشطارته" "مش قوى كده" "مش حايبقى داىما كده" "مش معناه نفتح الباب عالبحرى"

أما د. تامر فقد اتجه إلى تبرير هذه الضرورة بالظروف

ملا شك فيه أن الذل هو الذل سواء كان بجرعة بسيطة أو جرعة كبيرة، بل إن الذل بجرعة كبيرة ولدة طويلة قد يبلى المشاعر حتى لايسمى كذلك (كما سيأتى فى اللعبة التالية)، وقد تبين من الاستجابة هنا أن المسألة لابد أن تحسب بقدر حجمها، وأن يظل الرفض قائما مهما بررت الظروف الذل، ومهما قلت الجرعة ومهما بلغ احترامنا للطبيعة البشرية أو لحركية التعامل أو لطبيعة المرحلة، الاستجابات كلها كانت فى هذا الاتجاه مع تزايد الوعى بضرورة تعميق المسئولية حيث قال محمد فى المناقشة "الخوف بيزيد....، الواحد عايز يوقف نفسه، مايجلش الحكاية تاخده" وعقب د. باهر "هو اللي حصل حضرتك إن الأول رفضنا وقلنا مستحيل، لكن ابتدينا نتصالح مع الواقع تخليه فى أضييق الظروف"، فلحقه محمد قائلا "انت قدرت تتصالح معاه، أنا مش قادر".

يبدوا أن المسألة ليست مسألة تصالح، وإنما هى حسيبة موقوتة لمواجهة جريمة ماء، بوعى متألم، يبدو أن الذل بالذات كبيره مثل صغيره، وأنه لا فرق بين خدش الكرامة أو كسر الوجود كله، ومع ذلك فالواقع يطالبنا بالاستمرار ونحن نتجرع الألم جاهزين للتحدى فالانقراض، حتى لو سمى بعضنا ذلك تصالحا وهذا يذكرنا باللعبة الثالثة "أنا لو كنت رضىت بالذل من زمان" فالرضا ليس فيه ألم التأجيل، ولا ألم الإعداد، أما ضبط الجرعة هنا فهى لايشير إلى الرضا من قريب أو بعيد، بل لعله يعمق الألم تجهيزا للجولة القادمة.

القبول الاضطرارى هنا هو جرعة محدودة واعية من الذل، وقد انتبه الجميع إلى ضرورة ضبط الجرعة والتوقف عن التمدادى.

وقد نبه د. يحيى إلى المقارنة بين اللعبة الأولى "أنا مستحيل أذل نفسى حتى لو"، وهذه اللعبة "هوه فيه حد يقدر يعيش من غير ما يذل نفسه"، وأن وجود

الاحتمالين معا قائم وأن التناقض الحاد بينهما غير معطل لو استمرت الحركة في الاتجاه الصحيح، بل هو حافز للتحرك ما بينهما للتفاعل الجدلي المحتمل.

اللعبة الخامسة: طيب وليه أسميه ذل ما هو ممكن يكون.....

أ.عماد: يا دكتور يحىي طيب وليه نسميه ذل ما هو ممكن يكون فهولة

د.يحيى: يا محمد طيب وليه نسميه ذل ما هو ممكن يكون صفقة

أ.محمد: يا دكتور باهر طيب وليه نسميه ذل ما هو ممكن يكون دا في مصلحتي

د.باهر: يا دكتور تامر طيب وليه نسميه ذل ما هو ممكن يكون قلة قيمة

د.تامر: عزيزى المشاهد طيب وليه نسميه ذل ما هو ممكن يكون طبيعة فينا واحنا رافضين نشوفها

المناقشة

هنا يبدو أن معد اللعبة أراد أن يختبر مدى الاستعداد للتلاعب والتعمية بعد كل ألم المواجهة فيما سبق، فأعد هذه اللعبة لتتوسط اللعبات العشرة، ففتح بواسطتها الباب للتبرير والتغطية والتمويه، والعجيب أن الجميع اندفعوا إلى استعمال هذه الآلية، ربما بعد أن أوصلهم الألم والصعوبة والتناقض إلى البحث عن أى مهرب، لم تكن لعبة للتوريط وإنما كانت تلويحا بالسماح بإعادة النظر بديلا عن المغالاة في الإنكار اللاشعورى دون تحفظ،

نلاحظ هنا أن مشاعر الخوف والألم والدهشة والغموض قد تراجعت قليلا أو كثيرا، فانطلق كل المشاركين بطلقون أسماء التذليل (طاقية الاخفاء) على ما انزعجوا منه منذ دقائق دون استثناء معد اللعبة،

أربعة اختاروا أسماء: أنها فهولة، وصفقة، ومصلحة، وطبيعية، أما الخامس فاسماه: "قلة قيمة"،

أكتشف الآن كيف أن هذه المغامرة الشديدة البساطة ظاهرا، يمكن أن تكشف الوعى الأعمق بشكل يُشله إذ يعجزه عن التحليل. إن هذا الكشف ربما يكون له فائدة تعرية الميكانزمات، وبالتالي يلقى المسئولية على الوعى الظاهر بشكل مباشر، إذ يجعل ما يحدث في متناول المراجعة أو حتى التراجع، بدلا من أن تجرى الميكانزمات في الظلام، فننتهى إلى ألا ندرى أن هذه الأسماء التى غطت المسألة هى من صنعنا نحن، وأنها مهرب مفضوح.

انتبه محمد إلى علاقة ما قاله تامر هنا بقبول أن ذل النفس هو طبيعة فينا حين قال محمد، "تامر قال في الأول عكس

وكما قلنا عن الهدف منذ البداية أننا لا نملك وجهة نظر نريد أن نفرضها، بقدر ما نتصور أن هذا التقليل، قد يساعد على اكتساب نقيس أطول للمواجهة حتى لو بدا جانبا منه غير مقبول ابتداءً، حتى لو بدت تعريته مؤلمة لدرجة لا تطاق،

إلا أن هذا يبدو السبيل الأضمن لقيم أرقى من واقع أكثر صلابة.

غداً نكمل عرض ومناقشة الألعاب الخمس التالية ونعيد تسجيلها هنا لمن شاء أن يلعبها مع نفسه مسبقاً، بالإضافة إلى دعوة للعب الألعاب الخمس الأولى التي عرضناها حالاً حتى نلتقى.

اللعبة السادسة: أنا لو ضمنت إن مافقسي نفسي وأنا
باتنازل لدرجة الذل يمكن

اللعبة السابعة: ذل بذل، أنا بقى

اللعبة الثامنة: دا أنا لو ظبت نفسي باذل غري ولو من غير
قصد يمكن

اللعبة التاسعة: انا مستعد أذل نفسي بخطري في حاله واحده
بس، هي إن

اللعبة العاشرة: كله إلا الذل... يا ساتر!!! علشان كده
.....

- تعمدت ألا أثبت المناقشة التي دارت بعد كل لعبة حرفياً
وذلك لطولها، وتشتت مسارها، ويمكن الرجوع إلى نصها في الموقع
صوتاً وصورة.

أما المناقشة هنا، فهي مناقشة أحدث للاستجابات المثبتة
والمنشورة، مع إشارة منتقاة إلى بعض ما ورد في آراء وتعقيب
المشاركين بعد كل لعبة.

الإربعاء 20-02-2008

173- "لعبة النذل" (3) "مع الأسوياء: الجزء الثانى"

المقدمة

تأكدت الآن أن المخاوف التي ثارت عندي وأنا أقدم هذه الحلقة في قناة النيل الثقافية لها ما يبررها، وهى هى التي حضرتني وأنا أقدمها كتابة الآن، وقد تجلت أكثر من خلال تلك الرسالة التي وصلتني من قارئة جادة ناقدة حذرة أشرتُ إليها في حلقة أمس، وقد أردت أن أوضح اليوم أكثر طبيعة هذه الألعاب باعتبارها تمارس من خلال "أفراد" أسوياء، لا يمثلون - طبعاً - إلا أنفسهم، لكنهم عينة هامة من الناس، قد تساعدنا أن نتعرف على جانب من النفس البشرية من خلال بضع وحدات من بني الإنسان.

إن الفرد هو الوحدة التي يتكون منها المجتمع، ويتطور من خلالها النوع، وكل ما يجرى خارجه في الجماعة أو المجتمع يصب في النهاية فيه، وفي نفس الوقت: لا يوجد حل اسمه "الحل الفردي".

الأنبياء - عليهم السلام- حين نزل عليهم الوحي بدأ بهم، وهم لم يكونوا أنبياء إلا لأنهم لم يتوقفوا عند الحل الفردي،

بعض الصوفية خدعهم الحل الفردي وسيحاسبهم الله بعدله ورحمته معاً،

في نفس الوقت لا يجوز أن نهرب في الجماعة من مسئوليتنا أفراداً، لا جماعتنا التي نختمي بها، ولا جماعة المغيرين علينا الذين نضع عليهم كل اللوم أحياناً.

على كل واحد أن يقوم بما يستطيع في المجال الذي يقدر عليه ليصب العائد في خير الناس ودفع التطور

هذه الألعاب تحرك وعى الأفراد فالأفراد، ثم ليتحمل كل واحد ما يصله وما تحرك منه في جماعته حتى يمتد ما يصله إلى كل البشر، ثم هو يلقي الحق تعالى "فرداً" في نهاية النهاية.

لا تعميم،

لا الحل الفردي ينطبق على الجماعة ولا جهد الجماعة يغني عن مسئولية الفرد، كل في فلك يسبحون، لكنهم يلتقون حتماً، حتى بدون قصد.

أو: ينقرضون معاً

والآن نبدأ اللعب

اللعبة السادسة: أنا لو ضمنت إن مافقى نفسى وأنا باتنازل لدرجة الذل يمكن....

أ. محمد: يا أستاذ عماد أنا لو ضمنت إن مافقى نفسى وأنا باتنازل لدرجة الذل يمكن أكمل فيه على طول

أ. عماد: يادكتور تامر، أنا لو ضمنت إن مافقى نفسى وأنا باتنازل لدرجة الذل يمكن أفضل ذال نفسى على طول

د. تامر: يا دكتور يحيى، أنا لو ضمنت إن مافقى نفسى وأنا باتنازل لدرجة الذل يمكن أجرب

د. يحيى: يا دكتور باهر، أنا لو ضمنت إن مافقى نفسى وأنا باتنازل لدرجة الذل يمكن أتمادى وأنا مش عارف

د. باهر: عزيزى المشاهد، أنا لو ضمنت إن مافقى نفسى وأنا باتنازل لدرجة الذل يمكن يدقى مفيش مشكلة

المناقشة

تكمل الاستجابات في هذه اللعبة ما جاء من مواجهة مؤلمة في اللعب السابقة، يبدو أن المسألة وصلت إلى درجة مزعجة نتيجة هذه المحاولة المتسحية التي تم بها: إحياء البصيرة خلال خمسة ألعاب قام بها بضعة أشخاص لمدة نصف ساعة!

لعلنا نتحمل مسئوليتنا ونمضى.

بدأ د. باهر بالتعليق بعد اللعبة: "احنا مش خايفين من الناس، .. يعنى الخوف: من الذل مهواش خوف من رؤية الناس له، دى حاجة بين الواحد ونفسه، فيوافق محمد "دا نفس اللى وصلنى بالضبط، إن لو انا ما شوفتش نفسى ممكن أكمل، لكن المشكلة انى اتفقت، فأنا مصدوم، فتبقى الدنيا صعبة.

أيضاً حكى في المناقشة بعد اللعبة كل من: أ. عماد، ود. تامر عن حيرة وصعوبة ما وصله نتيجة التعرية، فأضاف عماد أنه ربما - بذلك - يتصاح مع نفسه، ليتخذ موقفاً مع ما لا يريد لنفسه، لم يحدده، لكنه انتبه "مش عارف زى ما أكون باتصاح ولا إيه "مش عارف، أنا فعلاً مش عارف" فيعترض د. يحيى ويستوضح فيشرح أ. عماد "أقصد يعنى اللى تحت بقى أسهل"

فيعقب د. يحيى

"...أسهل بس أخطر، يعنى انت بتتصاح بالعمى؟!، محمد ابتدى بالعمى، وبيفتح واحدة واحدة، يعنى هي من كتر ما هي بتوجع احنا جاهزين للتنازل، خلى بالك احنا بنقول ما فقى نفسى وأنا باتنازل مش وأنا باتذل دى تفرق، يعنى الخوف هو من رؤية التنازل، كل واحد يقول "ما هو خلاص، ما هو مش شايف ما هو ساعتها مش حايبقى ذل" دى تبقى مصيبة سودا.

أما د. تامر، فنحن لم نعرف ماذا يقصد بالتجريب "يمكن أجرب"، لا هو شرح ما يعنى أثناء المناقشة، ولا أحد سألته، ربما يقصد: أن يجرب أن يتنازل ليرى النتيجة ثم يقرر!

نلاحظ هنا قدرة اللعبة على ضبط "حركات اللاشعور" في المشاركة في التنازل، وبالتالي فإن الحل ليس هو التبرير أو المبالغة في المثالية، وإنما المواجهة وتحمل مسؤولية ما يصدر حتى مما يسمى اللاشعور، لأنه في النهاية ليس سوى "أنا!!!"

اللعبة السابعة: ذل بذل أنا بقى

د . باهر: بقول حضرتك ، ذل بذل أنا بقى حانقى الذل

.....

د . يحيى: طيب يا عماد ، ذل بذل أنا بقى لازم آخذ حقى

أ . عماد: يا تامر ، ذل بذل أنا بقى لازم أعيش زى ما أنا عايز

د . تامر: يا أستاذ محمد ، ذل بذل أنا بقى لازم أفرض شروطى

أ . محمد: أعزائى المشاهدين ذل بذل أنا بقى أنا حاكسب على طول

المناقشة

بدأت هذه اللعبة دفعا إلى ما بعد الوعى بواقعية الذل واحتمال مشاركتنا في قبوله، دون تغطية ولا تورية، ويبدو أنها حفزت التحدى والتحفز، فها هو د. باهر ينتقى نوع الذل حانقى الذل، وعماد يأخذ المقابل "أعيش زى ما أنا عايز" وعمد يكسب على طول "أنا حاكسب على طول" وتامر يفرض شروطه "لازم افرض شروطى". ود. يحيى يأخذ حقه "لازم آخذ حقى"، يبدو هذا الموقف تعرية أصعب، كما يبدو أن هذه اللعبة سرقت المشاركين فهي بعد أن استدرجتهم إلى التغطية والتمويه، رفعت الغطاء فجأة دفعا إلى واقع بشع، فيلوح المقابل بشكل أو بآخر، وفي المناقشة يعلن أ.عماد الذى وقع في بداية الحلقة حيرة بلا حدود، وغموض صعب أنه "حسيت إن أنا كده مش مظلوم" وليس هذا فحسب بل إن موقفه اتضح أكثر حين أضاف "برضه أنا مش مذلول قوى" أما د. تامر فقد أعلن أنه مازال يحس بالصعوبة حتى بعد فرض شروطه فقد عقب متسائلا متعجبا: "هو أنا ممكن أقبل تحدى الذل لما ينفرض على؟ ممكن أنى أنا اقبله؟! دا صعب جدا، أرضى بالواقع دا كان صعب على" عشان كده أنا قلت أفرض شروطى.

يبدو هذا الموقف لأول وهله "نفعيا" بشكل أو بآخر، ولكن من خلال نظرة أعمق، يبدو أنه خطوة قوية في اكتساب قوة ما قد تفيد في دفع ذل محتمل لاحق، إنها معاناة استيعاب الواقع لتغييره، بدلا من ادعاء العكس، ونفى استسلام يسرى فينا من ورائنا تحت زعم حلّ صراعى ظاهر، هذا الموقف النفعى يمكن أن يكون شديد السلبية حين يصبح هو نهاية المطاف، كما يمكن أن يكون علامة نضج حين يمهد لقوة تمنع تكرار الذل والمشاركة في تماديه.

اللعبة الثامنة: دا أنا لو ظبت نفسى باذل غيرى ولو من غير قصد يمكن....

أ. عماد: دكتور باهر، دا أنا لو ظبت نفسى باذل غيرى ولو من غير قصد يمكن ماكنتش ذليت نفسى

د. باهر: يا محمد، دا أنا لو ظبت نفسى باذل غيرى ولو من غير قصد يمكن حاكره نفسى أوى

أ.محمد: يادكتور تامر، دا أنا لو ظبت نفسى باذل غيرى ولو من غير قصد يمكن ماسامشى نفسى

د. تامر: يادكتور يحيى، دا أنا لو ظبت نفسى باذل غيرى ولو من غير قصد يمكن أغير رابى

د. يحيى: عزيزى المشاهد ، دا أنا لو ظبت نفسى باذل غيرى ولو من غير قصد يمكن ماحترمش نفسى طول العمر

المناقشة

انقلبت الآية، وبدلا من التركيز على كشف المشاركة في إذلال النفس، حاولنا أن نبين جانبا آخر من المسألة من حيث احتمال إذلال الغير، ربما يكشف لنا ذلك عن بعد آخر للطبيعة البشرية من حيث أن عملية الذل، ظاهرة أو خفية، إحدائه أو تلقية، هي كلها من الطبيعة البشرية، وأن من يشكو، أو يعانى من الذل قد يكون هو نفسه مستعداً لإذلال الغير مع احتمال أن يسمى ذلك باسم آخر، وقد حاولت اللعبة تعرية هذا الاحتمال من حيث أن الواحد منا لو اكتشف حقيقة ما يمكن أن يفعله بالآخر، فربما يساعده هذا أن يتقى مثل ذلك لنفسه. إضافة الجملة الاعتراضية "ولو من غير قصد" هنا ربما كانت بهدف تحميل المسؤولية للمذلل، حتى لو احتج أنه فعل ذلك بعيدا عن دائرة وعيه الظاهر.

أ. عماد وضح الربط بين الوعي باحتمال أن يكون هو المذلل وبين إذلال نفسه، "... يمكن ماكنتش ذليت نفسى" وكأن النفس هنا كانت بمثابة آخر داخلى،

خطر لى فرسٌ جديد الآن:

ربما كان من يذل نفسه، أو يقبل الذل علي نفسه، ولو لا شعوريا هو يذل شخصا آخر داخله، فتصورت أن هذه الرؤية هكذا قد تفيد في تحريك الوعي نحو التوجه إلى موقع أرقى من الوجود البشرى حين نعتبر بهذا أننا إذ نقبل أن نذل أنفسنا، كأننا نحن أيضا نذل آخر داخلنا، إن حدة الوعي بهذا الاحتمال - لو صح- يملنا مسؤولية أكبر

إذا كنا رفضنا أن نذل الآخر حتى كرهنا أنفسنا بهذه الدرجة، ورفضنا ذلك حتى لو حدث من وراء وعينا، فكيف نقبل أن نذل أنفسنا والمفروض أن مثلها مثل هذا "الآخر"، لها نفس الحقوق علينا.

ربما هذا ما يقابل الحب الناضج حين يكون شرطه أن يبدأ باحترام النفس وحبها أولا (ليس أنانية) بمعنى أن الذى يجب نفسه (دون أنانية) هو القادر أن يجب الآخر، هذا نضج خاص وبالقياس إن من يأبى الذل على نفسه هو هو الذى لا يستطيع أن يسمح لنفسه أن يذل آخر.

اتفق كل من د. باهر وعمد ود. يحيى على نوع من محاسبة النفس ضد الكراهية "حاكره نفسى قوى" وعدم العفو "ما ساعشى نفسى" وعدم الاحترام "ما احتزمشى نفسى" (طول العمر)، ويبدو أن هذه الدرجة من الرفض هى الأهم فى تعديل السلوك، أهم من المبالغة فى الندم والاعتذار. د. تامر انتقل خطوه أخرى لأنه جعل وعيه بهذا الاحتمال دافعا للتعبير عن أنه "يمكن أغبر رأي"، وإن كان مجرد تغيير الرأى لم يصل إلينا أنه تغيير فى أى اتجاه.

ملحوظة: شرح د. يحيى الموقف تفصيلا نظريا بشكل غير مألوف فى هذه الحلقات (اللعبة الذل) من برنامج سر اللعبة بقناة النيل الثقافية بتاريخ 16-4-2004)

وانتهى شرحه بما يشبه الاعتذار لفرط الجرعة، وربما هذا هو ما جعله يطلب من المشاهدين فى آخر الحلقة (اللعبة العاشرة)، ساخرا أو متحديا أن ينسوا ما جرى فيهم، وما انكشف لهم، من خلال اللعبة.

انتهى د. يحيى بعد تعقيبهِ الطويل بقوله:

أنا رأيتُ إنها من أصعب الألعاب التى أنا لعبتها فى البرنامج دا من يوم ما ابتدا:

هوّا احنا عايزين نوصل للناس إيه؟

إنهم يقبلوا الظلم؟

إنهم يرفضوا الذل؟

إنهم يبقوا هبّلا ومش عايشين فى الواقع؟

إنهم يبطلوا يذلوا غيرهم؟

عايزين نوصل للناس إيه؟

تحريك الوعى بهذا الأسلوب لا يفرض على أحد توجه معين، بقدر ما يأمل أن يوسع الرؤية، ويعزى الموجود، أملا فى امتداد دائرة الإحاطة، ومن ثمّ المسئولية، واضطراد النمو لفرد فالمجموع.

اللعبة التاسعة: انا مستعد أذل نفسى بخطرى فى حاله واحده بس هى إن.....

د.تامر: يا دكتور يحيى انا مستعد أذل نفسى بخطرى فى حاله واحده بس هى إن أكون واحد و معايا كل الناس

يبدو فعلا أن د. يحيى قد تعمد في النهاية أن يعلن اعترافه بأن درجة التعرية ربما كانت أكبر من الاحتمال، وأن من حق كل واحد أن يتزاجع بالدرجة التي تناسبه، (إن استطاع!!) ثم ربما يعاود التعرية بالقدر الذى يقدر عليه، إن لم يستطع أن ينسى كل ما حدث،

وهو لن يستطيع غالبا .

خاتمة

تصورت بعد التورط في تقديم هذه اليوميات الثلاث عن الذل، أنه ربما كان من الأفضل أن أُوجَل ذلك إلى ما بعد أن يتعود الزائر/ القارئ على فكرة "اللعب" هذه حتى لا يُصدم بجرعة تثير الدفاعات أكثر من إنارة الوعي، لكنى التمتست العذر لنفسي بأننى لا أختار الموضوع اختيارا هادفا مسلسلا، ثم إننى وأنا أكتب يوميا، لا أضمن أن المتلقى هو هو - وبالتالي فكيف أندرج معه واحدة حتى نصل إلى عمق وآلام مثل هذا التعرى، وهو متلق متغير غالبا؟

قد يصلح ذلك إذا أنا كنت قد جمعت الألعاب في كتاب واحد له أول وله آخر، وبالتالي أؤخر مثل هذه اللعبة حتى يعتاد القارئ متدرجا آلية التعرى، لكن النشر يوميا هكذا، في موقع إلكترونى هكذا، لا يضمن لى أنى أخاطب نفس الزائر طول الوقت.

ثم إننى - أخيرا - لست وصيا على زوارى وقرائى حتى أفترض لهم وفيهم المستوى الذى يمكن أن يتحملوه، والمستوى الذى هو فوق طاقتهم.

لهذا، لن أعتذر كما اعتذرت للمشاهدين أثناء تقديم البرامج.

"ولكلِّ حسب نضجه، ومن كلِّ حسب مسؤوليته".

وإلى لعبة أخرى،

ربنا يستر.

إعطاء القارئ خلاصة العمل صحيح على طبق من فضة ولكن مع حرمانه من متعة المشاركة والتفكير والإحساس خطوة بخطوة.... نحتاج في مصر إلى توثيق المفكرين لأفكارهم، لا أعلم إذا كان لدينا مشكلة في النشر أو في الطباعة أو في التسويق أو حتى في الرغبة في القراءة نفسها، ولكن ما أعلمه علم اليقين هو أنه ليس لدينا أزمة في المفكرين، ولكن إذا احجم كل مفكر عن إتمام عمل جميل كان قد بدأه بالفعل، فيما أنه ستصلنا أعماله كأعمال مبتورة (غالبا بعد رحيله عن دنيانا)، أو أن هذه الدرر ستذهب معه دون أن تدرى الأجيال القادمة عنها شيئا.... فيا لها من خسارة!!!

الحلم (35)

في بيت العباسية ونحن نأوى إلى أسرتنا للنوم أيقظني صوت ابن أخى وهو يصيح حريق في السقف، ونهضت فزعا وجاء ابن أخى بالسلم الخشبي وأقمناه في الصالة وصعد كل واحد منا على جانب حاملا ما استطاع حمله من الماء وأخذ يرشه على النار السارية بين الأركان وأقترحت حجرة أختي وأيقظتها من نومها العميق ومن عجب أنها قامت متكاسلة ومتشاكية من أننا لا نتركها أبدا تنعم بالنوم وعلى أى حال ساعدتنا بملء الأوعية بالماء حتى سيطرنا على النار وأخمدناها. وبدأنا نحقق في الأمر ولكن رجال المطافئ حضروا على أثر استدعاء الجيران لهم وتأكدوا من خمود النار وفتحوا الشرفات وتفقدوا الأثاث الموجود بها وانتهى الحريق بعد أن أفحمننا فزعا. وعندما جلسنا نستعيد بعض هدوئنا دق جرس التليفون ويلاحظ هنا تداخل الزمان والمكان إذ أن بيت العباسية لم يكن به تليفون وهكذا أصبحنا في مسكن آخر مع أناس آخرين دق جرس التليفون وكان المتحدث صاحب العمارة التي أستأجرنا بها شقة في الإسكندرية ودعانا الرجل إلى الاسكندرية دون إبطاء وإن شئت النار داخل الشقة وطماننا أنه استدعى المطافئ فأخمدوا النار ولكن حضورنا ضرورى بطبيعة الحال وفي الحال ارتدنا ملابسنا أنا وزوجتي وأسرعنا إلى محطة الباص الصحراوى وكنا في غاية الكدر والإنزعاج حتى أنني اقترحت على زوجتي إخلاء الشقة وتسليمها لصاحبها وأنها تعرضت إلى محاولة سرقة قبل ذلك ولكنها قالت لي انتظر حتى نرى ماذا ضاع منها وماذا بقى.

القراءة

عودة إلى العباسية والاسكندرية معاً، وتداخل جديد في المكان بالذات بين بيت العباسية والإسكندرية (راجع حلم 24)، وهما موقعان لهما مكانة خاصة عند شيخنا، العباسية بذكرياتها العاطرة الحاضرة، وشقة الإسكندرية القديمة بالمنشية التي سمته يحكى كيف كان يحمل هم نظافتها قبل شد الرحال إليها كل صيف، وذلك حين عرضت عليه شراء شقة بجوارى على البحر في بلاج السراى أبو هيف بثمن متواضع، وبالرغم من اقتناع زوجته الفاضلة بالفكرة، إلا أنه أصر على

الرفض، وعلل ذلك بأنه لا يريد حمل همّ نظافتها وصيانتها - أيضا - بما لا يطيق، العباسية هي الأصل، والإسكندرية هي حركة الصيف وتوفيق الحكيم (بترو) والنحاس باشا يتمشى، فينلخ قلبه حبا لرؤيته على الكورنيش... الخ

حرمته الظروف الأخيرة وقبل الأخيرة من روتينه السنوي الرائع بالذهاب إلى الاسكندرية، كما دفعته ظروف الدنيا والقدرة وتغير الأحوال إلى الانتقال إلى ما هو أحسن - شكلا - من شقة العباسية، لكن يظل المكانين هما المكانين ماثلان في وعيه، مضافة إليهما روائح بصمات القدم، والأصل، والخوف عليهما من مخاطر السرقة والاستيلاء (حلم 24)، أو الدمار (الحريق هنا).

المكان الثاني هنا الذى أعلن تداخل المكان والزمان ليس في الاسكندرية، كل ما يميزه هو أن به تليفون لم يكن في العباسية، ويبدو أن هذا المكان يقع في القاهرة، ليس به حريق ولا ابن أخ ولا أخت، هو مكان هادئ بلا مجتمع حيوى محيط، لم أستشعر فيه رائحة المكان الأول، ولا حتى رائحة الحريق، مكان هادئ بلا حركة ولا نبض للبشر الحقيقيين، صحيح أنه "أحدث" بدليل التليفون، لكن التليفون لا يفيد إلا للتواصل عن بعد، وأى تواصل؟ هذه هي الأخبار السيئة تصل عبر هذا التليفون بالذات، ومن الاسكندرية.

حريق العباسية حضره بنفسه، أما حريق الاسكندرية فقد أبلغ عنه بعد انتهائه، وماذا ينفع الذهاب إليها ليروا ما ضاع وما تبقى، فلتنقطع الصلة بالاسكندرية أيضا، ومن ثم الاقتراح بإخلاء الشقة، وقفل باب حمل همها، لكن يبدو أن الزوجة تظل تحتفظ بالأمل، أما هو فيبدو أنه يريد أن يتخلص منه (من الأمل) أكثر من رغبته في التخلص من الشقة.

لا أحد يعرف ماذا تبقى من أى شئ؟ بعد أى شئ؟

ويظل الكدر والانزعاج يعلنان رفض المفاجآت والتعرض للسرقة والدمار من جديد.

ماذا وسط الحلم تماما، يثبت محفوظ بالكلمات أنه "يلاحظ هنا تداخل الزمان والمكان"؟.

رفضت ذلك لأول وهلة، فهذه رؤية لاحقة، من حق الناقد أن يكتشفها ويعلق عليها، كما سبق أن وصلني في أحلام (18، 24)، وما قد يأتى بعد، فتساءلت: هل قفزت منه آلية الإبداع فأثبتتها داخل النص دون قصد؟ لا أعتقد أن مثل هذا يحدث هكذا من مبدع بلغ من سلاسة الطلاقة وإتقان الصنعة ما بلغه هذا العملاق.

هل هو بمثابة إحضار العين المراقبة للحلم داخل الحلم، مثلما يعلم الحالم وهو يحلم أنه في حلم؟

ربما.

لكني أعترف - برغم تحفظي هذا - أن هذه الجملة الدخيلة لم تزعجني، بل أنستني بشكل مباشر.

لا أعرف لماذا؟

هذا الحلم يُظهر جانباً آخر من عالم محفوظ الداخلى، يقابل ولا يتناقض مع ظاهره الآمل المتفائل: التهديد بالحريق فالخراب، والتراجع عن الأمل والإصلاح.

لكن هذا الداخل هكذا ربما هو هو الذى يزيده إصراراً على مواصلة الإبداع والتنويع، وعلى التمسك بالحياة وقبول التحدى أياً كان المتبقى من واقع هذا الواقع المدمر بلا توان

ظهور الأخت هنا للمرة الثالثة حتى الآن، كان ظهوراً أثار عندى احتمالات غامضة، الأخت برغم انزعاجها من الإيقاظ القسرى الذى فرض عليها، سارعت بالمشاركة فى إخماد الحريق بلا تهاون.

لماذا أظهر محفوظ الأخت بهذه الصورة الناعمة الناعسة المقاومة، لتنتقل الصورة إلى الإسهام الإيجابي الطيب؟

أهذا علاقة ما بما ذكرناه فى (حلم 9، وحلم 30)؟

ربما.

الحلم (36)

جمعنا بهو ما. ثمة وجوه أراها لأول مرة ووجوه أعرفها جيداً من الزملاء. وكنا ننتظر إعلان نتيجة يا نصيب. وأعلنت النتيجة وكنت الراجح وكانت الجائزة فيلا حديثة وحصل زياط وتعليقات وهانى. لم تستطع وجوه كثيرة أن تخفى كمدما. وقال لى كثيرون إنه فوز ولكنه خازوق من أين لك المال لتأنيثها وتوفير أخدم اللازمين لها واستهلاكات الماء والكهرباء وخدمة حوض السباحة والتكييف الخ.

الحق أن الحلم مازال حلماً وما أنا أتفقد الفيلا كل يوم تقريباً وأرجع بالخيبة والخسرات. واستغل أناس قلة خيوتى واقنعونى ببيعها واشتروها بثمن فرحت به ساعات حتى تبين لى أننى خدعت وسرقت.

وحدث فى ذلك الوقت أن خلت وظيفت مدير عام وكثير التزاحم حولها والمرشجون وبطاقات ذوى النفوذ وقابلت الوزير وقلت له إننى لا وسيط لى سواه ولكنه قال لى إنك لم تستطع أن تحافظ على مالك الخاص فكيف أأتمنك على المال العام.

وصرت نادرة ومثلاً فطلبت ضم المدة الباقية لى فى الخدمة لى خدمتى وإحالتى إلى المعاش وأخيراً وجدت الطمأنينة فى موضع لا يتطلع إليه طماع ولا ينظر إليه ذوو الطموح.

القراءة

البهو هنا يجمع الغائب بالحاضر، الجديد بالقديم، (قارن استعمال البهو المترامى الأركان المتعدد الأبواب حلم 4) هو مهبط الحظ ورضا القدر، هذه المرة لم تكن مكسباً فى مائدة المقامرة، حلم (28) ولكنه كان حظاً صرّفاً.

بدا لي أن هذا الفوز "الخازوق" هو الحياة ذاتها، من لا يستطيع أن يملأها بما تستأهلها، من يفرط فيها قبل أن يبدأها، سوف تنزع منه وكأنه لم يدخلها.

لا أحد يعيش ليحقق ما يريد قبل أن يعيش أصلاً.

لا أحد يحصل على ما يريد إلا بعد أن "يوجد هو".

إذا كان هو قد فرط في حياته، فعجز أن يرعاها بحقها، ويعمرها بما يلزمها فهو ليس أهلاً لها، وليس جديراً بأن يكون له دور في حياة الناس.

المال العام هنا يمكن أن يكون دور الواحد منا لناسه: فرداً في مجتمع، أو حتى فرداً في نوع.

الانتهاء وبهذه الطمأنينة في موضع "لا بتطلع إليه طماع ولا ينظر إليه ذوو الطموح"، وصلني على أنه القبر.

ما هو يعلن نهايته إنسحاباً من حياة لم تبدأ أصلاً.

لم يقدرها صاحبها حق قدرها لأنه عجز أن يملأها بحقها، فيكون كائناً يستحقها، حياة لم يستطع أن يعيشها له، فكيف تسهم في إثراء حياة آخرين.

فانسحب إلى قبر يغرى بالطمأنينة العدم.

"ما عاش مَنْ لم يولد"

في قراءة اتى حلم (19) كتبت

"لا يكفي أن "توجد"، ولا أن يُسمح لك بالدخول، حتى "تكون": "نفعل": "تُنجز"، تقوم بدور ما في الحياة يؤكد وجودك".

ثم

"إنَّ من يتصور منَّا أن مجرد الاعتراف بوجوده (الشقة الجميلة، والسماح له بالدخول إلى السوق)، هو ميرر كاف لأن يكون له "دوره"، هو مخدوع، ومن ثمَّ هو مهدد بالطرده من الوجود".

وأهيته قائلاً

"من لا يجد له دور، فعليه أن ينسحب أو يقبل أن يُسحب منه الاعتراف بوجوده"

هل ثمة علاقة؟!!

كذلك قلت في قراءة اتى حلم (18) قائلاً

هكذا ضاع العمر دون أن يولد بعد،

هو مازال في القارب الذي كان الرحم، وهو هو القبر

وأخيراً

حضرني هذا الشطر حالا، وهو نهاية قصيدة كتبتها بعد زيارتي لأبي سبيل وتأملي وجه رمسيس تتعامد عليه الشمس، هذه النهاية تقول:

حَبَّكَ الوليدُ دثاره: كَفَنَّا،
وبلا رثاءٍ وسدوه خذه: ... مَهْدًا.
كتبوا عليه بلا دموغ:
ما عاشَ مَنْ لَمْ يولد.
ولكن إليكم القصيدة كلها:

موت الفخر

-1-

يا جدُّنا المصلوب زهواً يحصدُ الزمنُ،
قد صار محظوراً علينا نُنقِشُ القلوب
فوق هاماتِ الحجرِ.
ما عاد يَجُرُّوْ وَغَيْنَا أن يفتخرُ: أنَّا بشرُ.
".. في البدءِ قَال أو فعلُ،
بصما على وجه الزمنُ،
إذ يَنسِجُ الفعلُ القدرُ"
في عَصْرنا هَذَا أَيَا جَدِي العزيزُ،
لا تطلُعُ الشمسُ دُونَ إِدْنِ.
لا يُستبأخُ للكلابِ الأثمةُ - أمثالنا -
أن تسكنَ العرينُ

-2-

فرعونُ هذا العَصْرُ ثعلبُ،
أخفى المشانيقَ بين ثنياتِ التماوتِ والعفنِ.
في زعمِ حبِّ العُدلِ لَوْحٍ بالتلاشي في الأملِ.

-3-

حَبَّكَ الوليدُ دثاره: كَفَنَّا،
وبلا رثاءٍ وسدوه خذه: ... مَهْدًا.
كتبوا عليه بلا دموغ:
ما عاشَ مَنْ لَمْ يولد.
أسوان: 1981/1/23

إعطاء القارئ خلاصة العمل صحيح على طبق من فضة ولكن مع حرمانه من متعة المشاركة والتفكير والإحساس خطوة بخطوة.... نحتاج في مصر إلى توثيق المفكرين لأفكارهم، لا أعلم إذا كان لدينا مشكلة في النشر أو في الطباعة أو في التسويق أو حتى في الرغبة في القراءة نفسها، ولكن ما أعلمه علم اليقين هو أنه ليس لدينا أزمة في المفكرين، ولكن إذا احجم كل مفكر عن إتمام عمل جميل كان قد بدأه بالفعل، فيما أنه ستصلنا أعماله كأعمال مبتورة (غالبا بعد رحيله عن دنيانا)، أو أن هذه الدرر ستذهب معه دون أن تدرى الأجيال القادمة عنها شيئا.... فيا لها من خسارة!!!

الحلم (35)

في بيت العباسية ونحن نأوى إلى أسرتنا للنوم أيقظني صوت ابن أخى وهو يصيح حريق في السقف، ونهضت فزعا وجاء ابن أخى بالسلم الخشبي وأقمناه في الصالة وصعد كل واحد منا على جانب حاملا ما استطاع حمله من الماء وأخذ يرشه على النار السارية بين الأركان وأقترحت حجرة أختي وأيقظتها من نومها العميق ومن عجب أنها قامت متكاسلة ومتشاكية من أننا لا نتركها أبدا تنعم بالنوم وعلى أى حال ساعدتنا بملء الأوعية بالماء حتى سيطرنا على النار وأخمدناها. وبدأنا نحقق في الأمر ولكن رجال المطافئ حضروا على أثر استدعاء الجيران لهم وتأكدوا من خمود النار وفتحوا الشرفات وتفقدوا الأثاث الموجود بها وانتهى الحريق بعد أن أفحمننا فزعا. وعندما جلسنا نستعيد بعض هدوئنا دق جرس التليفون ويلاحظ هنا تداخل الزمان والمكان إذ أن بيت العباسية لم يكن به تليفون وهكذا أصبحنا في مسكن آخر مع أناس آخرين دق جرس التليفون وكان المتحدث صاحب العمارة التي أستأجرنا بها شقة في الإسكندرية ودعانا الرجل إلى الاسكندرية دون إبطاء وإن شئت النار داخل الشقة وطماننا أنه استدعى المطافئ فأخمدوا النار ولكن حضورنا ضرورى بطبيعة الحال وفي الحال ارتدنا ملابسنا أنا وزوجتي وأسرعنا إلى محطة الباص الصحراوى وكنا في غاية الكدر والإنزعاج حتى أنني اقترحت على زوجتي إخلاء الشقة وتسليمها لصاحبها وأنها تعرضت إلى محاولة سرقة قبل ذلك ولكنها قالت لي انتظر حتى نرى ماذا ضاع منها وماذا بقى.

القراءة

عودة إلى العباسية والاسكندرية معا، وتداخل جديد في المكان بالذات بين بيت العباسية والإسكندرية (راجع حلم 24)، وهما موقعان لهما مكانة خاصة عند شيخنا، العباسية بذكرياتها العاطرة الحاضرة، وشقة الإسكندرية القديمة بالمنشية التي سمعته يحكى كيف كان يحمل هم نظافتها قبل شد الرحال إليها كل صيف، وذلك حين عرضت عليه شراء شقة بجوارى على البحر في بلاج السراى أبو هيف بثمن متواضع، وبالرغم من اقتناع زوجته الفاضلة بالفكرة، إلا أنه أصر على

فيفري 2008 : أسبوع 3



إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2008

أ. د. يحيى الرخاوي

- أستاذ الطب النفسي: كلية الطب، جامعة القاهرة
- كبير مستشاري دار المقطم للصحة النفسية لشخصيات
- رئيس مجلس إدارة جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي



الأبحاث النفسية

- عيد الأبحاث وأوراق بالإنجليزية و عيد الفروض والنظريات والمداخلات بالعربية إضافة إلى عديد أبحاث الدكتوراه والماستير التي قام بها واشرف عليها ومشاركته عديد الندوات والمؤتمرات العلمية والعالية

المؤلفات

- حيرة طبيب نفسي - المشي على الصراط (ج1 الواقعة. ج2 مدرسة العراة) - مقدمة في العلاج النفسي الجمعي - دراسة في علم السيكيوباتولوجي (شرح : سر اللعبة) العمل المحوري الذي يمثل تنظيره للأمراض النفسية والسيكيوباتولوجيا - أغوار النفس - حكمة المجانين - النظرية التطورية الإيقاعية وأساسيات من علم النفس (تشمّل الخطوط العامة للنظرية النفسية البيولوجية للمؤلف) - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال - مراجعات في لغات المعرفة - مواقف النفري بين التفسير والاستلهام- رحلات يجي الرخاوي (ثلاثة أجزاء) - مبادئ الأمراض النفسية - علم النفس في الممارسة الطبية - علم النفس تحت المجره - (ألف باء. الطب النفسي - حياتنا و الطب النفسي - حيرة طبيب نفسي - عندما يتعري الإنسان - دليل الطالب الذكي في علم النفس والطب النفسي: 3 مجلدات - أفكار وأسماح حول القصر العيني - البيت الزجاجي والثعبان. (شعر) - اللغة العربية والعلوم النفسية الحديثة - المفاهيم الأساسية للطب النفسي- الطب النفسي للممارس - قراءات في نجيب محفوظ- مثل.. وموال قراءة في النفس الإنسانية - رباعيات ورباعيات - هيا بنا نلعب يا جدي سوبيا مثل أمس- تبادل الأئقعة - أصداء الأصداء

الانتماء إلى الجمعيات النفسية

- عضو الجمعية المصرية للصحة النفسية
- عضو مؤسس لكلية الملكية للأطباء النفسيين
- رئيس التحرير المشارك المجلة المصرية للطب النفسي.
- رئيس تحرير مجلة الإنسان والتطور - مستشار النشر بالهيئة العامة للكتاب
- مسئول التحرير المشارك للمجلة العربية للطب النفسي

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2008

